التطبيع مع إسرائيل

« تطبيع دول أم مجتمعات »

د. رفعت السعيد - د. عبد العظيم رمضان
تحسين بشير - على سالم

مواجهة الأشباح..

ربما هى أقسى وأشد ضراوة، من مواجهة أعداء أشداء مدججين بالسلاح من قمة الرأس إلى أخمص القدم!

ومواجهة الأشباح هى وصف - شبه أدبى - لنوع التحسبات والتحرزات والمخاوف التى تعصف بقلب المثقف المصرى وعقله، حين تطرح عليه كلمة التطبيع، أو حين يجد نفسه بصدد بناء أو تبنى موقف يتعلق بهذه الكلمة.

والغريب أن مواقف المؤيدين المحبذين لفكرة التطبيع، أو مواقف المعارضين - المحاربين لذات الفكرة، تعتمد فى طروحهم المدونة، أو فى مواقفهم الصوتية، على عناصر هى أقرب ما تكون إلى الأدب الشعبى، منها إلى حقائق التاريخ، وهى أشد ما تكون التصاقاً بمعنى الخيالات والأحلام - بل وأحياناً - التهيؤات، أكثر من التصاقها بمعنى الحقائق والمصالح والعناصر الواقعية المادية التى يمكن لمسها بأطراف الأيدى، أو التحقق منها بالأعين المجردة!

والغريب - أيضاً - أن القسمة السياسية الأزلية - التى حسمت نفسها فى الساحة المصرية إلى مجموعتين تتبنى إحداهما الخيارات السياسية لعصر الرئيس عبد الناصر ومشروعه السياسى، وتتبنى الأخرى الخيارات السياسية لعصر الرئيس السادات ومشروعه السياسى - عكست نفسها على هذا الموضوع كذلك، بحيث نجح الجميع - وبسهولة غريبة - فى اختزال هذا الموقف المصيرى من هذه النقطة المصيرية إلى (ناس مع) و(ناس ضد) . . . هكذا بكل البساطة المفلطحة!!

وربما كان النجاح الإضافى الذى حققته كل من المجموعتين عبر الموقف من هذه القضية أيضاً، هو تأكيد قدرة كل منهما على اختزال تاريخ الوطن فى أفراد، أياً كانت عظمتهم وأياً كان نبل القصد والنية لدى كل منهم، وأياً كانت الأساطير التى أحاطت بعصريهما والخيالات التى لفت شخصيهما.

نعم.. عجز الجميع عن الالتقاء فى نقاط وسط تتعامل مع حقائق الواقع، واندمجوا - فى غياب مسترسل - فى تأكيد الانتماء للأفراد، وتأكيد الارتباط بالأساطير.

والغريب - كذلك أن الانكسارات والإحباطات التى مُنى بها معسكر كل من المجموعتين، لم تزد أيهما سوى إصرار غاشم على إبداء المزيد من التمسك بالمقولات القديمة، بعد نزعها من سباق الزمن وتطوره، والتعامل معها فى الفراغ الذى لا يعرف سوى الارتباط بالفرد، أو الالتصاق بالأسطورة.

كان انهيار المعسكر الشرقى، وانكسار حركة القومية العربية، وعجز نموذج التنمية الذى قدمه الانفتاح، والتحدى المرعب الذى يفرضه سؤال الإرهاب الدينى على المنطقة، والتنازلات المهمة التى قدمها الفلسطينيون أصحاب القضية الأصلية، كانت كل هذه العناصر تفترض إحداث شروخ فى مواقف أى من المجموعتين، كما كانت تفترض دفع كل منهما إلى إعادة التفكير، وإعادة الحساب، إلا أن فكرة الخندقة التى سادت تعامل المجموعتين مع كل القضايا التى تزخر بها ساحات الوطن، وكل الأسئلة التى يطرحها الواقع على هذه الساحات، جعلت من خصومة كل منهما للآخر أولوية تسبق ما عداها من أولويات، وتسجل عجزاً جديداً إضافياً عن بناء ما يمكن تسميته بموقف (قومى) تجاه ما يمكن تسميته قضية (قومية).

. . . . . .

ترتبط أهمية موضوع التطبيع بعملية السلام العربية - الإسرائيلية، التى يفترض أن تقود - حال نجاحها - إلى علاقات طبيعية، وهذا هو جوهر

الخلاف بين مؤيدى ومعارضى هذه العملية فى العالم العربى الآن، ويمكن الحديث عن وجود عدة اتجاهات رئيسية فى الفكر العربى الراهن تجاه التطبيع مع إسرائيل وأهمها:

* اتجاه يفرض التطبيع لأسباب - يعتبرها - عملية، وتدور حول التخوف من هيمنة إسرائيل على المنطقة.

* اتجاه يرفض التطبيع - كلية وتحت أى ظرف أو مسمى - باعتباره تفريطاً فى أحد أهم الثوابت القومية أو الإسلامية.

* اتجاه يؤيد التطبيع باعتباره لا يمثل تفريطاً فى الثوابت، وإنما يعد امتداداً للصراع الذى سيحسم - فى النهاية - من خلال التفاعل السلمى لصالح العرب.

* اتجاه يؤيد التطبيع اعتقاداً فى أنه ينهى الصراع، ويتيح بدء مرحلة جديدة، تتيح التعاون بين أعداء الأمس على أساس مصالح مشتركة.

* اتجاه يقبل التطبيع كأمر واقع لا مفر منه، ما دام لا خيار سوى التسوية فى الوضع الدولى الراهن، لكنه يفترض وضع سقف لهذا التطبيع.

ووجود هذه الاتجاهات - جميعاً - فى الفكر المصرى والعربى - الآن - تجاه هذه القضية المصيرية، أثار مجموعة كبيرة من التساؤلات التى ترتبط بسؤال رئيسى حاكم (تطبيع دول أم تطبيع مجتمعات؟)، وأفضى إلى دائرة حوار جديدة بين الأضداد، تحاول التعامل مع الحقائق وليس الأساطير، وتجتهد فى مواجهة الواقع بدلاً من مواجهة الأشباح!

كان لابد من التساؤل

* هل يوجد ما يمكن اعتباره صراعاً أبدياً غير قابل للحل؟

* هل يمكن - فى حالة سلام شامل - تكرار تجربة التطبيع المحدود بين مصر وإسرائيل، وهل يمكن أن تستمر هذه التجربة - بطابعها المحدود - فى حالة الوصول الى سلام شامل؟

* ما هى المخاطر المحتملة على المجتمعات العربية أو بعضها من جراء هذا التطبيع؟، وهل يوجد أساس جدى للتخوف من هيمنة إسرائيلية، وهل لدى إسرائيل قطاعات صناعية قائدة تتيح لها أن تصبح بمثابة «المركز الصناعى» فى المنطقة؟ أم يعود التخوف من ذلك إلى عقدة أو شعور داخلى بالهزيمة لدى بعض العرب؟

نعم.. كان لابد من أن نحمل كل هذه التساؤلات إلى مائدة حوار جديدة.

وعُقدت الندوة فى السادسة من مساء يوم ٢٤/١/١٩٩٣، وحضرها الدكتور عبد العظيم رمضان أستاذ التاريخ المعاصر فى جامعة المنوفية، والدكتور رفعت السعيد أمين عام حزب التجمع، والسفير تحسين بشير المتحدث السابق باسم رئاسة الجمهورية، والأستاذ على سالم الكاتب المسرحى المعروف.

ومن اللحظة الأولى لبدء أعمال الندوة، بدا واضحاً أن التيارات الخمسة تطرح أسئلتها، وأن الإجابات تأتى على ألسنة الجميع خليطاً من الحقائق النظرية المحكمة، ومن الأساطير، والأحلام - وأحيانا - التهيؤات.. إلا أن هذه الإجابات مثلت - رغم ذلك - حالة من أوضح حالات ظهور فرقاء الرأى، المختلفين حول هذا الموضوع.

. . . . . .

قال **السفير تحسين بشير** إن التطبيع آلية مصرية لدفع الشعب الإسرائيلى نحو حالة سلام، وإن الارتباط المصرى بالقضية الفلسطينية يقيد عملية التطبيع، وإن المقاطعة العربية لم تضعف إسرائيل، وإن الخوف من أية علاقة مع إسرائيل هو حديث جهلاء، وإن ما عُرض على الفلسطينيين فى كامب ديفيد أفضل مما هو متاح لهم الآن، وإن السادات أدرك - مبكراً - أنه لا خيار أمام العرب غير السلام، وإن التطبيع هو إدارة للصراع بأسلوب آخر، وإن السلام الكامل يتحقق عبر تجربة تاريخية تنهى صرح العداء، وإن القوى العدوانية فى إسرائيل أصبحت هامشية مثل رافضى السلام والحرب، وإنه لا معنى للتفاهم على سلام من دون تطبيع، وإن التطبيع عامل مساعد لتغيير اتجاهات الشعب الإسرائيلى.

أما **الدكتور عبد العظيم رمضان** فقد طرح وجهة نظر تنتظمها حدود قاطعة، وذلك فى الأوقات التى كان الاشتباك بينه وبين الدكتور رفعت السعيد يتوقف!!

وكانت حدود رؤية د. عبد العظيم رمضان كالآتى:

* الحكومة المصرية - وليس الشعب - تقيد التطبيع مجاملة للقضية الفلسطينية.

* عدم ذهابى لإسرائيل يحرم القضية الفلسطينية من فرصة لتدعيمها.

* الاعتقاد بأن السادات سيق إلى مبادرة السلام هو خطأ تاريخى.

* السادات أنجح سياسى عربى فى نصف القرن الأخير.

* السلام ليس وهماً وإنما حقيقة واقعة.

* إسرائيل لم تستغل تفوقها العسكرى فى المماطلة للخروج من سيناء.

* مصر لم تمض فى طريق التطبيع بسبب القضية الفلسطينية.

* الشعب المصرى يؤيد التطبيع من خلال ترحيبه بالإسرائيليين فى مصر.

* المتطرفون من اليسار واليمين يفرضون إرهابهم ضد التطبيع.

* تحاورنا مع إسرائيليين دفاعاً عن قضية فلسطين.

* أكثر العرب تطرفاً هم الذين لم يحاربوا إسرائيل - أبداً - واخرهم صدام.

* التطبيع يفيد القضية الفلسطينية لأنه يقدم نموذج سلام حقيقى للشعب الإسرائيلى.

* الذين أيدوا مبادرة السادات دفعوا ثمناً أغلى ممن عارضوها.

* لا قدرة لإسرائيل على استعمارنا اقتصادياً أو ثقافياً.

. . . . . .

وعلى الجانب الآخر من جبهة الاشتباك كان الدكتور رفعت السعيد يطرح مقولاته الحاسمة - هو الآخر - والتى تمثلت فى النقاط التالية:

* السادات ليس عبقرياً، وفى علم التاريخ لا يمكن قياس الماضى على الحاضر.

* الإسرائيليون أصروا على التطبيع مستهدفين عزلة مصر.

* السادات سعى لكسر حاجز العداء مع عدو يمارس العداء يومياً!

* الشعب المصرى اكتشف - سريعاً - أن السلام مع إسرائيل وهم.

* السادات فصلنى من الاتحاد الاشتراكى - قبل مبادرته - لمقابلتى أحد دعاة السلام الإسرائيليين.

* بعض أعضاء حزبى هاجمونى لدعوتى إلى الاتصال بقوى السلام فى إسرائيل.

* الدولة الفلسطينية ستصبح المعبر للتطبيع بين العرب وإسرائيل.

* إميل حبيبى لم يراع المشاعر العربية ومد يده لإسرائيل.

* مؤيدو التطبيع لا يزورون إسرائيل خوفاً من المشاعر الشعبية الرافضة لذلك.

* الرأسمالية العربية ضعيفة ولذلك تخشى التطبيع وما يحمله من منافسة.

. . . . . .

أما **على سالم** فقد طرح رؤيته فى مزيج من الدراما وعلم النفس، وبرغم أنه كان مؤيداً بشكل قاطع للتطبيع إلا أن رؤيته كان فيها إدراك عميق لطبيعة ومزاج الرافضين، وقد عرض رؤيته بشكل نقدى غير مسبوق، ونظن أنه وضعهم جميعاً فى حرج كبير.

قال: إن السادات خرج من غرفة الكراهية إلى شرفة السلام دفعة واحدة،

وإن التطبيع لم يتقدم لعدم تبلور مصالح مشتركة وبسبب القضية الفلسطينية، وإن السادات خلق واقعاً جديداً قابلاً للنمو وللتطور.

وقال: إنه من الطبيعى أن نتصالح مع أعدائنا، وغير الطبيعى أن نحارب إلى الأبد، وإن التجار المصريين يتعاملون مع إسرائيل من دون عُقد، وإن المصالح هى التى ستخلق وتدعم التطبيع، وإن إسرائيل مطالبة بأن تشعر بمسئوليتها عن جيرانها أيضاً، وإن المواطن العربى يشعر بغيرة من الإسرائيلى الذى يتمتع بحقوق سياسية أكبر، وإن انتشار الليبرالية فى المنطقة يضع القاعدة الأساسية للتطبيع، وإن التطبيع معركة أخرى لا تدوى فيها المدافع ولكن تطلق الأفكار.

. . . . . .

وهكذا راح الجميع يواجهون الجميع فى نقطة تماس ساخنة، لا ترتبط -فقط- بفصول عملية التسوية التاريخية التى تشهدها المنطقة - الآن - ولكنها ترتبط أكثر بتقسيم المستقبل، وبقدرة كل الأطراف على تحديد حجم أنصبتها فى هذا المستقبل.

المستقبل.. الذى جاءت إجابات الجميع بشأنه، خليطاً من الحقائق النظرية المحكمة، والأساطير، والأحلام - وأحياناً - التهيؤات، إلا أن هذه الإجابات مثلت - رغم ذلك - حالة من أوضح حالات ظهور فرقاء الرأى المختلفين حول هذا الموضوع.

وفيما يلى نص الندوة :

د. عمرو عبد السميع: عنوان الندوة - فى حد ذاته - يحتوى على مجموعة كبيرة من الأسئلة الأولية التى يولدها موضوعها، وسيثار الكثير منها خلال الحوار بطبيعة الحال، ولعل السفير تحسين بشير يبدأ بتفسير ظاهرة تبدو محيرة للكثيرين، فقد ظهر تأييد شعبى كاسح فى مصر للسلام بعد عودة الرئيس السادات من القدس المحتلة فى نوفمبر ١٩٧٧ ثم بعد كامب ديفيد فى سبتمبر ١٩٧٨، لماذا لم يترجم هذا الحماس نفسه إلى سلوك عملى فيما بعد على صعيد تطبيع العلاقات مع إسرائيل؟

السفير تحسين بشير: كلمة التطبيع تعتبر كلمة جديدة، فالناس يعيشون إما فى حالة حرب، أو فى حالة سلام، أما حالة التطبيع فهى اختراع مصرى، ظهر بعد معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل، والتى لم يكن تنفيذها تلقائياً، بل مرحلياً، وكان هذا السلام هو المدخل لجر إسرائيل وبقية العالم العربى إلى السلام، وبالتالى فمصر أصبحت فى حالة سلام، أو فى حالة صيرورة نحو السلام، وتريد أن تدفع بالدول والشعوب العربية وبدولة إسرائيل والشعب الإسرائيلى إلى هذا السلام، وهو ما لم يتأت حتى الآن إلا بصعوبة شديدة، وبالتالى فإن الكوب نصفه مملوء ونصفه فارغ، السلام معناه حل وسط، وكلمة الحل الوسط جديدة على اللغة العربية، التى تعرف كلمة المصالحة، ويبدو أننا لا نميل إلى مفهوم الحل الوسط، ربما لأنه يعنى أن هناك طرفاً تعرض لهزيمة أو نصف هزيمة، فى حين أن المصالحة معناها أن الاثنين كسبا، فى التاريخ المصرى كله وتاريخ العالم تحدث مصالحات بعد الحروب، والتطبيع كان تكتيكاً أو آلية مصرية لإشعار إسرائيل والشعب الإسرائيلى بأنه من الممكن الوصول إلى حالة سلام مع مصر، إذا حصل الشعب الفلسطينى - وهو أضعف عناصر هذه المعادلة - على حقوقه، وبالتالى لم يكن من الممكن أن نجعل التطبيع بمعزل عن بقية القضية، ومن ناحية القانون الدولى، فإن بعض الدول العربية تقف حتى الآن عند حدود إنهاء حالة الحرب، فمثلاً الرئيس الأسد يقصد

بالسلام إلغاء حالة الحرب، لكن الإسرائيليين بحثوا فى الكتب العربية وأخذوا يفرقون بين السلام والصلح، وقالوا إن العرب يريدون الصلح وليس السلام، وهذا غير صحيح، فالأجيال الجديدة العربية لا تعرف هذه الفوارق، والناحية الأخرى أن هذا السلام بين مصر وإسرائيل تحقق مع استمرار الاحتلال والكبت للشعب الفلسطينى، فبالتالى لكى تكون مصر صادقة مع نفسها كان عليها أن تؤيد السلام مع إسرائيل، وفى نفس الوقت تهاجم الحكومة الإسرائيلية لسياسة الاحتلال المستمرة للأراضى الفلسطينية، وضحاياها يومياً من اثنين لثلاثة يموتون، غير القابعين فى السجون والمستوطنات وخلافه، مما يتعارض مع اتفاقية جنيف الرابعة التى أقر العالم - بما فيه أمريكا ومجلس الأمن - بأنها واجبة التنفيذ على إسرائيل، فكانت هذه الآلية المصرية هى أداة ضغط لتأكيد أن السلام ليس استسلاما، والسلام هو الوصول إلى مصالحة تاريخية تحقق نوعاً من الاعتراف المتبادل والاحترام المتبادل والتعاون المتبادل.

فإذا كنا نتحدث عن التطبيع، نجد أن الشعب الفلسطينى فى الأراضى المحتلة، وجزءاً من الشعب اللبنانى فى الجنوب يخضع لتطبيع يومى، وأكبر سوق لإسرائيل خارج الولايات المتحدة والسوق الاوروبية هى سوق المنطقة المحتلة فى فلسطين، وإسرائيل - حتى الآن - تتكسب من عملية الاحتلال، فهى تحصل على ضرائب من الفلسطينيين لا تقل عن ٧٠٠/ ٨٠٠ مليون دولار سنوياً وصباح كل يوم يغادر نحو ٧٠ ألفاً إلى ٨٠ ألفاً من سكان غزة، وعدد أكبر من الضفة الغربية بيوتهم، ويذهبون فى عربات إلى أماكن العمل الإسرائيلية حيث الأجور معقولة على الرغم من أنها أقل مما يحصل عليه الإسرائيليون، فهناك - إذن - ما لا يقل عن ١٥٠ ألف فلسطينى يشتغلون كل يوم فى إسرائيل، وهذا نوع من التطبيع ولكنه تطبيع إجبارى.

د. عمرو عبد السميع: هنا الحالة الفلسطينية تمثل حالة إجبارية، لكننا نتحدث عن حالات عربية غير فلسطينية، وتحديداً الحالة المصرية، وقد تحدث السفير تحسين عن موقف الدولة المصرية وحرصها على ربط التطبيع بأمور

أخرى متعلقة بالحق الفلسطينى، لكننا نريد الحديث عن الناس، ما الذى منع تحول شعورهم الجارف نحو السلام إلى موقف يستقبل بالترحاب فكرة التطبيع؟

السفير تحسين بشير: مصر لها ارتباط بالقضية الفلسطينية - شعبياً - بجانب الارتباط الحكومى، الشعب يتألم من أن الإسرائيليين مستمرون فى الاحتلال للفلسطينيين، وعملية المفاوضات عملية طويلة ورهيبة، وبخاصة أن الجانب الفلسطينى ليس فى حالة تماسك، ويُطبق عليه القانون الإسرائيلى، ولا ننسى أن الانتفاضة قامت على مبدأ التفاوض والوصول إلى حل سلمى مع إسرائيل، الانتفاضة لم تقم لتقول مثل الفلسطينيين القدامى، إن إسرائيل ليس لها كيان، وإن الحل الوحيد هو القضاء عليها، الانتفاضة قائمة على استقلال الأرض الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ فى إطار سلمى مع إسرائيل، طبعا الانتفاضة كانت أعظم إنجاز حصل من الفلسطينيين، ودخل البيت الإسرائيلى والضمير الإسرائيلى.

والنقطة المهمة أنه إذا تصورنا إمكان تحقيق سلام، فإن حالة السلام ستخلق نوعا من التطبيع والتعاون بين الفلسطينيين والإسرائيليين لا محالة، لسبب بسيط جغرافيا أنه لا يمكن لأهل غزة الذهاب للضفة من دون المرور على أرض إسرائيل.

وهذا أمر واقع، وعلينا أن نسعى إلى حل متقدم يحقق أفضل مصالحة ممكنة بين الشعب الفلسطينى - يدعمه ويؤيده الشعب العربى - وبين الشعب الإسرائيلى - ووراءه يهود العالم - هذه هى المعادلة الحقيقية التى تقوم على حل يبدأ بإرضاء الطرفين. فكرة التطبيع جاءت فى إطار إنهاء المقاطعة وهى سلاح لجأنا إليه بعد عام ١٩٤٩ بغرض إضعاف إسرائيل اقتصادياً، فكانت النتيجة أن إسرائيل نمت اقتصادياً، والمقاطعة لم تفعل ما تريد، أما الخوف من إسرائيل، فهو حديث الجهلاء، وهو خوف مبنى على أساس أن التقدم العربى لن يحدث، أنا - فى رأيى - أنه لو قبلنا التحدى الإسرائيلى العلمى والثقافى والإنسانى والسياسى لأمكننا أن نوازن إسرائيل، وأكثر من إسرائيل، وسيصبح

من صالح إسرائيل أن تسعى إلى طلب ود العالم العربى، أما عن النماذج التاريخية فهى غير واردة، سواء كان نموذج التحالف اليهودى الإسلامى كما حصل فى عصر صلاح الدين لما فتح القدس وفتح جميع المعابد اليهودية التى كانت مقفلة ومظلمة بفضل الصليبيين، أو فى عهد أول معاهدة إسلامية والتى كانت مع اليهود، أو العهد الزاهر فى توليدو فى طليطلة، كل هذه نماذج لا تنطبق على الحل الراهن، ولكن ممكن أن نستوحى منها مجال الانسجام المتبادل على أساس عدم الضغط لأنه يفيدها فى المرحلة الحالية.

الحل الحقيقى - الآن - هو الوصول إلى مصالحة تاريخية تحقق للشعب الفلسطينى حقوقه وتفتح الباب لعلاقة بين العرب وإسرائيل، لا تكون علاقة عدائية مائة فى المائة، بل نفتح المجال للمصالح المشتركة.

د. عمرو عبد السميع: أستاذ على سالم ما تصور حضرتك لما ورد فى حديث سيادة السفير تحسين بشأن الخوف من إسرائيل، الذى يشعر به الجهلاء من وجهة نظره؟ فى تصورك ما هى العوامل التى تغذى الخوف فى المجتمع العربى من فكرة التطبيع مع إسرائيل؟

على سالم: عندما قام السادات بمبادرته السلمية كان يبدأ مشواراً نحو السلام، بينما كان المجتمع نفسه محكوماً بآليات الحرب، أى أنه خرج من غرفة الكراهية دفعة واحدة إلى شرفة السلام، بينما الشعب - ككل - لا يزال موجوداً فى قاعة الكراهية وهذا أمر طبيعى للغاية، فعندما يحارب الناس ويكرهون لمدة ٣٠ سنة يكون من الصعب للغاية أن يتحولوا.

د. عمرو عبد السميع: لكن كان هناك شعور شعبى بالسعادة للتوجه نحو السلام، وربما بحماس لم نشهده فى حالة أخرى؟

على سالم: بالتأكيد، ولكن كانت هناك خبرات فى سياق عملية السلام المصرية - الإسرائيلية، لا تغذى هذا الاتجاه، لأنها كانت خبرات مؤلمة جداً للمصريين، منها موقف بيجين مع السادات فى مدينة الإسماعيلية، والشعب

المصرى رأى أن أقصى ما يمكن أن يصنعه إنسان هو هذه المبادرة التاريخية وأنه غير مطلوب منه أدلة أخرى لحسن النية، وفوجئوا ببيجين فى الإسماعيلية يتجاهل ما حدث، على أية حال انتهى الأمر وحدث السلام ووقُعت المعاهدة المصرية - الإسرائيلية، وأنا كنت أراهن على السلام من حيث أنه سيكون دافعاً للتحدى، بين طريقة التفكير المصرية وطريقة التفكير الإسرائيلية، أى أننا سنصطدم بأفكار الإسرائيليين وسنتعرف على طريقتهم فى العمل، وعلى طريقتهم فى الحكم، وفى هذا الإطار نستجيب للتحدى ونتفوق عليهم، لكن كان هناك حرص دائم على عدم التطبيع.. لماذا؟ هنا أستعير كلمة السفير تحسين، وهى المماطلة، فالتطبيع فى الفترة التى أعقبت المعاهدة مباشرة كان أمراً غير طبيعى، ولذلك تم فى أضيق الحدود بين الدولتين، ولم يخلق حتى الآن مصالح بين المواطنين المصريين ككل على قدم المساواة وبين الإسرائيليين، بالإضافة إلى أن القضية الحقيقية التى نرتبط بها شعبيا هى قضية الشعب الفلسطينى، فمثلاً عندما تشاهد زوجتى على التلفزيون بشراً مبعدين تحت الثلج، فمن الطبيعى أن تسب الإسرائيليين، هنا القضية خاصة بالعواطف، فلن يحدث تطبيع حقيقى بين المصريين كمجتمع والمجتمع الإسرائيلى إلا بعد حل القضية الفلسطينية بمصالحة حقيقية.

د. عمرو عبد السميع: حتى على مستوى المفكرين والمبدعين.. هل يظل التطبيع بعيداً؟

على سالم: نعم حتى على هذا المستوى، لأننى عندما أتحاور مع مفكر إسرائيلى، فإننى أفعل ذلك كى أثبت - لنفسى - أننى أتمتع بالشجاعة العقلية الكافية، وقادر على أن أتخطى وأخرج من قاعة الكراهية، لكن يظل بداخلى ألم شديد جداً، فالصراع لم يكن قضيتى أصلاً كمصرى، وإنما هو قضية شعب بأكمله شُرّد من وطنه، وأنا لا أناقش اعتبارات تاريخية لكن يوجد شعب - الآن - مظلوم ويعانى من الاحتلال.

د. عمرو عبد السميع: حديثك هذا يعيد إلى الذهن عبارة قالها أحد الكتاب

المصريين الكبار غداة عودة الرئيس السادات من كامب ديفيد، قال بالحرف: «الناس معه والتاريخ ليس معه».

على سالم: لا.. التاريخ معه، فالسادات عمل ما يسمى خلق واقع تاريخى جديد طبيعى وقابل للنمو، والازدهار، وهذه مسألة أنا أدركتها - ربما بالحدس - فى يوم مبادرته، واستاء منى أصدقاء كثيرون لأننى هنا أحسست بحدس الفنان، أن هذا الرجل يقوم بخلق واقع جديد طبيعى وقابل للنمو، وهذه هى السياسة، وهذا هو دور رجل الدولة، فمن الطبيعى أن نتصالح مع أعدائنا، وليس من الطبيعى أننا نحارب للأبد، ليس هناك حرب للأبد.

السفير تحسين بشير: السادات مع كل ميزات وعيوب كامب ديفيد خلق تغييراً فى مسرح الشرق الأوسط لا عودة عنه، والآن تعلم الجميع هذا سواء الذين أيدوا السادات أو عارضوه، وأهمهم الشعب الفلسطينى، فعلى الرغم من كل قيود كامب ديفيد فإن ما عُرض على الفلسطينيين - فى ذلك الوقت - أفضل بكثير مما يعرض عليهم الآن ليس فى قاعة المفاوضات فقط ولكن فى الواقع، خلال المحادثات الأولى فى إطار كامب ديفيد بخصوص الحكم الذاتى، كان عدد المستوطنين الإسرائيليين خارج القدس ١٧ ألفاً، والآن ٢٠٠ ألف، فالواقع اختلف، والفلسطينيون يوقنون بهذا، بالأمس جاءت لى شابة صغيرة من بيت لحم بشأن أطروحة حول هذا الموضوع. السادات كان واعياً لعملية الزمن، وكان منطقه هو قبول أى حل حتى إذا كانت تعوقه اشتراطات وقيود، لكن المهم هو أن أقف على أرضى وأبنى، والسلام عملية بناء، وحل القضية بالنسبة للشعب الفلسطينى، هو أن أكبر مساحة من الأرض الفلسطينية يكون عليها أكبر نسبة من الشعب الفلسطينى لهم حرية العمل فى ظل السلام، وهذا هو النصر.

د. عمرو عبد السميع: الدكتور رفعت السعيد.. قبل تعقيبك أسأل حضرتك سؤالاً أولاً: فيما يتعلق بموقف الحكومات العربية المختلفة من فكرة التطبيع مع إسرائيل، هل يمكن أن ندخل فيها من دون أن نتهم بالعسف، فهل هى تخاف

من أن يصبح نموذج الديموقراطية الإسرائيلية ماثلاً فى ذهن الجمهور العربى إذا غدت العلاقة يومية؟

د. **رفعت السعيد**: أولاً نموذج الديموقراطية الإسرائيلية نموذج غير مستحب فى المجتمع العربى، فالديموقراطية الإسرائيلية تفرق فى التعامل بين الإسرائيليين والعرب، وأعتقد أنه تعامل غير ديموقراطى على الإطلاق ونازى وإن كان هتلر أجرى بعض الانتخابات وسمح للشعب الألمانى باعتباره الشعب الأكثر رقياً فى العالم ببعض الديموقراطية - فى إطاره - لكنه كان نازياً فى التعامل مع الشعوب الأخرى، ولا أعتقد أن النموذج الإسرائيلى نموذج محترم من قبل الذين يدافعون عن حقوقهم.

د. **عمرو عبد السميع**: ولو من حيث استيفائه للشكل؟

د. **رفعت**: الشكل موجود فى بلاد كثيرة بما فى ذلك بلاد عربية، فيها تعددية حزبية، وأعتقد أن المغرب أكبر بلد به استيفاء للشكل، والشكل موجود فى مصر، وأعتقد أن الديمقراطية مفتقدة أيضاً، يعنى فيه ديمقراطية أقل مما يجب أن تكون، لكن على أية حال أسجل اختلافى المبدئى مع السيد السفير تحسين بشير ومع الأخ على سالم.

فأنا أولاً لا أعتقد أن السادات كان بهذه العبقرية، وفى علم التاريخ لا تستطيع أن تقيس الماضى على الحاضر، فلا السادات كان يتوقع ولا أى منا كان يتوقع انهيار المعسكر الاشتراكى، واختلال التوازن العالمى إلى هذه الدرجة التى جعلت من إسرائيل قوة فى المنطقة، بعد تداعى المعسكر الاشتراكى، وبعد انهيار العراق، إذن القياس صعب جداً، وإذا نظرنا للصراع على أنه صراع عربى - إسرائيلى، فالسادات بكل المعايير مخطئ فى حق الوطن وفى حق القومية، وعندما أصر الإسرائيليون على التطبيع، أنا أعتقد أنهم أصروا على عزلة مصر، يعنى لم يكن التطبيع بهدف إيجاد معابر بين الشعبين المصرى والإسرائيلى لأن الإسرائيليين ليسوا بهذه السذاجة بحيث يتصورون أن الجماهير

المصرية ستعبر هذا المعبر بسهولة، كما لم يكونوا من السذاجة أيضاً بحيث يتصورون أن هذا الأمر يمكن تحقيقه فى وقت قريب، لكنهم كانوا يريدون استمرار القطيعة بين مصر وبين المجموع العربى، وأعتقد أنهم حققوا هذه النتيجة، والتطبيع له عدة أشكال (اقتصادى وسياسى وثقافى وحضارى) والبعض ينظر إلى التطبيع الاقتصادى على أن إسرائيل تريد الأسواق العربية كى تغزوها، لكننى لا أعتقد أن هذا هو الهدف الإسرائيلى الحقيقى، الهدف الإسرائيلى هو ما سماه السادات كسر الحاجز النفسى، أى إنهاء حالة العداء، أن تنهى حالة العداء مع عدو لا زال يمارس العداء يومياً ضد إخوتك العرب، ولا زال يحتل أرضهم ويدوس بكعب حذائه على رقابهم، فكيف أنهى حالة العداء؟ وأشعر بمودة، وأجلس بحالة من التفاهم مع الذين يمارسون الجرائم التى تمارس الآن؟! لكن عندما نتكلم عن التطبيع يجب ألا نتكلم إجمالا، فالتطبيع مع هذا القسم من العالم يشمل أربع حالات: حالة عرب ٤٨: وهؤلاء طبعاً يستحيل أن نقاطعهم، فيأتى توفيق زياد هنا ونستقبله ويتلو شعراً ونصفق له، ويأتى سميح القاسم فنفعل معه الشىء نفسه، وأنا - شخصياً - أستمتع بصداقة كثيرين من عرب ٤٨ لأنى لا أستشعر أى حالة عداء فى مواجهتهم، وهناك عرب الأرض المحتلة ١٩٦٧: وهؤلاء أيضاً نتعامل معهم بذات المودة، وهناك ما أسميهم أو ما أعتقد أنهم قوى السلام الإسرائيلية أى هؤلاء الأفراد من اليهود والإسرائيليين المقيمين على أرض إسرائيل الذين يدافعون عن قضية السلام، ويطالبون بتحقيق المطالب القومية المشروعة للشعب الفلسطينى، وإقامة الدولة الفلسطينية، ويرفضون الفكر التوسعى الصهيونى، وهؤلاء الناس أنا - أيضاً - لا أقاطعهم. إذن فعندما أتخذ موقف رفض التطبيع فهو موقف سياسى فى مواجهة عدو لم يزل عدوا، ولم يزل يمارس سياسة العداء فى مواجهتى، وإذا سمحت لمثل هذه المعابر أن تفتح مع هذا العدو، فلن يكون أمامى سوى أحد خيارين: إما أن أبرر ما يفعل، أو أن أدخل معه فى مجادلة حول مدى صحة أو عدم صحة ما يفعل، وأعتقد أننا

نخطئ كثيراً إذا تصورنا أن بالإمكان أن نغفر لإسرائيل ما ترتكبه من جرائم، وأنا متفق معك فى أن الشعب المصرى صفق للسادات لدى ذهابه إلى القدس ولدى عودته من القدس، وفى هذا الوقت كنا نحن محاصرين، نحن الذين رفضنا زيارة السادات للقدس، والذين رفضنا اتفاقية كامب ديفيد، كنا محصورين ومحاصرين، لكن الشعب المصرى فى ذلك الوقت كان يتصور أن اتفاقية السلام التى عقدت مع إسرائيل ستعنى عدلاً وسلاماً للعرب، وهو ما لم يتحقق، وما لم يكن مطروحاً على الفلسطينيين أصلاً، كان المطروح عليهم الحكم الذاتى فقط، وليست مهمتنا أو واجبنا أن نفرض على الشعب الفلسطينى أن يقبل بالأدنى، فالمفروض أن نساند الشعب الفلسطينى، ونتركه يختار ما يجده ملائماً أو متماشياً مع مصالحه، أيضا الشعب المصرى اكتشف أن السلام لم يأت له لا بالزبد ولا بالخبز وهنا بدأت المشاعر المصرية تتحول إلى حالة عداء ورفض لاتفاقيات كامب ديفيد.

د. عمرو عبد السميع: ألم تكن هناك مقاومات محلية من طراز - مثلاً - موقف حزب العمل فى ذلك الوقت؟

الدكتور رفعت السعيد: حزب العمل فى ذلك الوقت كان يؤيد اتفاقيات كامب ديفيد، الحزب الوحيد الذى رفضه هو حزب التجمع لكى يكون الأمر واضحاً، وحزب الأحرار وافق على كامب ديفيد لكن الشعب المصرى تجمع ضد كامب ديفيد بعد غزو إسرائيل للبنان، واكتشف أنه لا سلام ولا كلام، اكتشف أن السلام مع إسرائيل وهم، وأن المطلوب هو أن يقنع المصريون بما أخذوا، ويعزلوا أنفسهم عن العالم العربى، وأن يتخلوا عن واجباتهم إزاء العرب وبالتالى يتخلوا عن دورهم العربى، الشعب المصرى - بسليقته وبفطرته - اكتشف الخدعة التى أوقعه فيها السادات، وبالتالى - فى ذلك الوقت - ارتفع شعار مليون علم فلسطينى ضد العلم الإسرائيلى، وبدأت تتجمع مقولات كثيرة ضد إسرائيل، وفى الوقت الذى كان الحكام يزهون فى البداية بكامب ديفيد، دخل الحزب الوطنى الحاكم فى مصر ثلاثة انتخابات فى ٨٤ و٨٧

و١٩٩٠ من دون أن يضع اتفاقية السلام فى برنامجه باعتبار أنها عورة، ومعنى ذلك أنه يشعر بأن الناخب لا يرحب بهذه الاتفاقية ولا يقبلها.

على سالم: على الرغم من خلافى مع الدكتور رفعت، فالواقع أننى سعيد لأنه قال إنه على استعداد للتعامل مع اليسار الإسرائيلى المطالب بالسلام والمدافع عن السلام، وسأفرض فرضاً - نظرياً - أنك تملك محلاً لبيع التحف المصرية، وجاء أنصار السلام الآن للشراء من هذا المحل، فأنت تبيع لهم طبعاً.

د. رفعت السعيد: أنت تقصد موقف التجار.

على سالم: لا أنا أقصدك - أنت - بالذات، أنت على استعداد أن تتعامل مع اليسار الإسرائيلى وهو مجموعة «السلام الآن» وهم مفكرون وفنانون، ووقفوا مع الحق العربى بأكثر مما وقف بعض المثقفين العرب، لو أنهم زاروك - هنا - وأنت بالصدفة عندك محل عاديات أو قمصان أو غيره هل ستبيع لهم؟ أعتقد أنك ستبيع، وأريد أن أقول إن الحضارة يصنعها التجار، وربما يبدو هذا كلاما غريبا، لكن معنا أستاذ فى التاريخ يمكن أن يُعقب على هذا القول، فالحضارة يصنعها التجار، وهذا كلام ديورانت، وأنا كنت فى دمياط بعد تحرير الكويت، وهى بلدى ومشهورة بالموبيليا، وتقع على ساحل البحر الأبيض قلت لهم بعد تحرير الكويت طبعاً ستوردون موبيليا للكويت، لأننى رأيت تاجراً كويتياً يشترى موبيليا، ففوجئت بأنهم قالوا لى إنهم يوردون موبيليا لإسرائيل أيضاً، وأن بعض الخبراء الإسرائيليين يأتون ليختاروا نماذج معقدة جداً من الموبيليا ويوصوا عليها، ويصل سعر الحجرة إلى ٣٠ ألف دولار، طبعاً أستطيع أن أستنتج أن اليهود لن يستخدموا هذه الغرف وإنما سيعيدون تصديرها لأوروبا.

مرة أخرى هو ليس اختلافاً فى وجهة نظر، ولكن ما يحدد أن السادات على حق أو على باطل ليس سلوك الحزب الحاكم الذى لم يستخدم اتفاقية السلام، لأنه ببساطة شديدة جداً غير قادر على الدفاع عن أى شىء موضوعى، عملياً

وسياسياً كان من المستحيل على أى رجل دولة داخل حدوده أن يتفاوض لمنطقة أخرى، فهل كنا نريده أن يتفاوض نيابة عن الشعب الفلسطينى؟

أمر مستحيل.. لأنه شرعياً وشرعاً لا يستطيع، واختفاؤه من على الساحة بقتله لم يجعله يكمل مشواره، كان هناك مشوار حقيقى من خلال الخطابين اللذين يقال عنهما إنهما غير ملزمين، وهما الخطابان المتصلان بالضفة، وعندما تقرأ مذكرات كارتر نجد الكلام عن الخطابين وأنه لا بد من العودة لهما لتكملة الاتفاقية المصرية - الإسرائيلية، فهذه الاتفاقية خاصة بمصر وخاصة بالعرب أيضاً، لأن القتال فى حقيقته، القتال - بالمعنى المادى للكلمة - كان مصرياً - إسرائيلياً، وسورياً - إسرائيلياً، أما التطبيع - الذى نتكلم عنه - فقد تم مع عرب كثيرين من قبل، وهذا موجود فى المراجع الإسرائيلية، والمصلحة هى التى ستخلق التطبيع، كانت لنا مصلحة فى السلام، وتحققت هذه المصلحة، وإلا كنا - الآن - نعانى حالة قتال حقيقية وتدميرية هذه المرة، وقد تحققت هذه المصلحة، وستكون هناك حالة مماثلة بين المجتمع المصرى وإسرائيل بعد أن تحل القضية الفلسطينية. وهى تمثل ما سماه السادات حاجزاً نفسياً وهو طبعاً حاجز نفسى حقيقى، وعندما تحل هذه القضية سنفاجأ بحالة تطبيع حقيقية بين الفلسطينيين والإسرائيليين فى أى شكل من الأشكال، وفى حالة وجود ديموقراطية وليبرالية سياسية واقتصادية فى مصر، سيكون هناك تطبيع حقيقى، لكن أى مصلحة لى الآن فى أن أزور إسرائيل؟ ليس لى مصلحة هناك، أنا لست ضد فنلندا، لكننى لا أتاجر مع فنلندا ولا أزورها، والإسرائيليون يسألون أحياناً: لماذا لا يأتى المصريون؟ الواقع أنهم سيذهبون عندما تتوفر المصلحة، وهى مؤجلة الآن، لكنى آخذ بوجهة نظر، أنه لا توجد حالة حرب دائمة إلى الأبد، وهناك مصالحة تتم، ومصالحة تتم بأكبر قدر من التنازلات، ومن المكاسب، ومن يخوض معركة تفاوض لا يستطيع الحصول على كل شىء، بينما أزعم أن السادات أخذ كل ما يستطيعه بل وكل ما يستطيعه أى سياسى عربى، كما خلق واقعاً جديداً فى المنطقة طبيعياً وقابلاً للنمو بدليل أن العرب دخلوا عملية التفاوض من أجل السلام الآن.

د. عمرو عبد السميع: تحدثنا عن أن آليات التطبيع لم تمض فى طريقها بالإيقاع الذى كان متوقعاً فى البداية، فهل يمكن أن نفسر ذلك - جزئياً - بدور جماعات الرفض السياسى بشقيها القومى العربى والإسلامى، والتى لعبت دوراً معيناً فى التصدى لفكرة التطبيع بوصفها فكرة مرفوضة أو يجب التحرك ضدها.. الدكتور عبد العظيم رمضان فى تصورك ما هو حجم تأثير هذا العامل؟

د. عبد العظيم رمضان: أريد أولاً أن أقدم بعض التعليقات - وبخاصة - على ما قاله صديقى الدكتور رفعت السعيد، فى عدم إيمانه بعبقرية السادات، وما يتصل بذلك من اعتقاد لدى البعض بأن السادات سيق إلى المبادرة وإن الإسرائيليين والأميركان خدعوه، رأيى أن فى هذا الكلام خطأ تاريخياً، والسؤال هو: ما الذى دفع السادات للمبادرة؟ ببساطة كانت هذه هى مقتضيات الموقف، لأن السياسة فن الممكن، فما هى المعطيات التى كانت موجودة أمام السادات فى ذلك الوقت؟ وهل كان لديه ما هو أفضل من المبادرة؟ هذه المسألة تتحدد بنتيجة حرب أكتوبر ١٩٧٣، وهذه الحرب لم تكن نصراً كاملاً لمصر، فكما نعرف فى البداية حققنا العبور وبعد هذا حصلت الثغرة، ودخل الإسرائيليون وحطموا حائط الصواريخ على الرغم من أن جيشهم كان محاصراً، اضطر السادات لدخول محادثات الكيلو ١٠١ بهدف إدخال تموين لقوات الجيش الثالث المصرى، وتبع ذلك اتفاق فك الاشتباك الأول وفك الاشتباك الثانى، إذن السادات كان فى هذه الحالة محاصراً أيضاً والقوات الإسرائيلية موجودة فى الضفة الغربية لقناة السويس، والمفروض أنه كزعيم أو كرئيس دولة ينهى هذه المسألة ويحرر الجيش الثالث ويُخرج الإسرائيليين من الضفة الغربية، وهذا ما فعله عن طريق فك الاشتباك الأول وفك الاشتباك الثانى، وبعد هذا لم يحدث أى تحسن فى الموقف، الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى استناموا لمسألة اللا حرب واللا سلم والاسترخاء العسكرى، وأدرك السادات أن شيئاً سيضيع لأن ما تم فى أكتوبر ١٩٧٣ كان أقصى ما يستطيع أن

يفعله الجيش المصرى، والأخطاء الإسرائيلية فى حرب أكتوبر كانت أقصى ما تستطيع إسرائيل أن ترتكبه فى أى حرب أخرى، فكانت النتيجة أنه عمل مبادرة السلام، على الرغم من أنه فى تصورى لم يكن رجل سلام، بل كان رجل حرب، وحارب فى أكتوبر، ولكن كان عليه أن يحرر بقية سيناء وليس أمامه غير السلام.

إذن السادات كان يسعى إلى تحرير سيناء، وبعد أن حارب لم يعد أمامه غير لعبة السياسة وقد لعبها وكان من الضرورى أن يكملها بكامب ديفيد، أو بمبادرة السلام، وهو لم يكن مساقاً إلى ذلك، بل على العكس كان أنجح سياسى مصرى على الإطلاق فى نصف القرن الأخير واستطاع أن يحقق ما لم يستطع أن يحققه أى مناضل عربى آخر، والنماذج أمامنا موجودة حتى فى الوقت الحالى، فالسادات - بالفعل - كان عبقرياً فى تصورى، وكان سياسياً من الطراز الأول واستطاع أن يحقق بالسياسة ما لم يستطع أن يحققه بالحرب.

والنقطة الثانية التى أعلق عليها هى ما يقوله صديقى الدكتور رفعت السعيد من أن السلام عبارة عن وهم، وأقول إن السلام حقيقة واقعة، وتجربة مصر وإسرائيل تثبت أن السلام يتحقق عندما تصفى النوايا وحينما يكون هناك عزم حقيقى، فعندما خرجت إسرائيل من كامل سيناء ولم يبق غير كيلو متر مربع فى طابا - خرجت منه أيضاً ولم تماطل - وقد يقال إنها ماطلت لكنها فى نهاية الأمر لم تستغل وضعها العسكرى، وحررنا سيناء كاملة، وهذا - فى حد ذاته - عنصر مهم جداً من عناصر السلام، والعنصر الثانى مسألة الشعب، فالإسرائيليون يزورون مصر بالمئات والألوف سنوياً، ويعيشون فى القاهرة ويجوبون أنحاء مصر من دون أية مشكلة بل ويتمتعون بأمن أكثر مما هو لديهم فى إسرائيل، فما هو السلام الذى يقصده صديقى الدكتور رفعت السعيد ويصفه بأنه وهم؟ السلام هنا حقيقة.

د. عمرو عبد السميع: هناك إقبال شعبى إسرائيلى بالفعل على ممارسة التطبيع لكن ماذا عن الجانب الآخر؟

د. **عبد العظيم رمضان**: هذا يثير السؤال عن معنى التطبيع، معنى التطبيع هو ما قالته جولدا مائير فى أيام حرب الاستنزاف وأيام مبادرة روجرز، قالت إن السلام فى نظرها هو أن تركب الطيارة وتنزل فى شارع فؤاد بوسط القاهرة لتتسوق وترجع، هذه هى عملية السلام فى نظرها، ويعود الأصل التاريخى لها إلى ما بعد هزيمة ١٩٦٧ فعبد الناصر حدد القضية على أساس أننا نقبل بالصلح مع إسرائيل، ولكن السلام شىء آخر، السلام يتم إذا حلت إسرائيل القضية الفلسطينية، فلا يمكن أن يتحقق السلام من دون تطبيع، السلام لا بد أن يكون العنصر الآخر له هو التطبيع، والمفروض أن المعاهدة المصرية -الإسرائيلية تتضمن تطبيع، فالمعاهدة معناها عملية تطبيع، لكن مصر لم تستطع المضى فى عملية تطبيع، وتعمل علاقات مطبعة مع إسرائيل بسبب القضية الفلسطينية، التى هى أصل الصراع العربى- الإسرائيلى، ومن خلالها جاء الصراع المصرى - الإسرائيلى، او الصراع العربى - الإسرائيلى، إذن نحن لا نستطيع تحقيق تطبيع إلا بعد أن تُحل القضية الفلسطينية، لكن موقف منظمة التحرير - فى ذلك الوقت - كان موقفاً متشدداً، وكانت إلى جانبها بعض القوى العربية وعلى مواقف أكثر تشدداً، وإسرائيل فى ذلك الوقت كان عندها استعداد للتفاوض.

إنما المنظمة كانت ترفض بل واعتبرت أن من يجلس مع إسرائيلى لا بد أن يوضع فى «قائمة سوداء»، وأنا كنت من ضمن الذين أدرجوا فى هذه القائمة لمجرد أننا حضرنا مؤتمراً فى فندق ووترجيت لندافع عن القضية الفلسطينية فى حضور إسرائيليين!! لقد بلغ التعصب والتشدد إلى حد أن من يجلس مع إسرائيلى لا ليتآمر على القضية الفلسطينية، وانما ليدافع عنها ويحاول أن يقنع الطرف الإسرائيلى بحل القضية الفلسطينية لصالح الشعب الفلسطينى أصبح يُعتبر كأنه «خائن».

د.**عمرو عبد السميع**: سؤالى كان عن هذا التشدد على وجه التحديد، هذا التشدد الذى يمارسه التيار القومى، أو التيار الدينى ـ فيما يتعلق بهذه القضية ـ ما هو حجم تأثيره على الشارع العربى فى قضية التطبيع؟

د. **عبد العظيم رمضان**: على وجه التحقيق الشعب المصرى يقبل عملية التطبيع، بدليل أنه يتعامل مع الزوار الإسرائيليين كل فى مجاله، فلا نجد سائق تاكسى مثلاً يرفض أن يستقل إسرائيلى سيارته، ولا يوجد تاجر يرفض البيع لهم، لكن فرق المتشددين من اليسار المتطرف أو من اليسار ومن اليمين المتطرف، كانت تفرض إرهابها على الشارع المصرى.

د.**عمرو عبد السميع**: كيف تفرض إرهابها؟

د. **عبد العظيم رمضان**: جريدة الأهالى - على سبيل المثال - نشرت ذات مرة نداءً بعنوان قاطعوا هؤلاء وعلى رأسهم عبد العظيم رمضان.

د. **عمرو عبد السميع**: فى عهد أى من رؤساء تحريرها؟

د. **عبد العظيم رمضان**: فى عهد «الأصدقاء الأربعة».

د. **رفعت السعيد**: هذا الكلام كان بعد احتلال بيروت وأنت تجلس مع الإسرائيليين الذين يحتلون بيروت.

د. **عبد العظيم رمضان**: وهل جلست معهم لأتآمر أم لأدافع عن القضايا العربية، وقد رددت - يومها - وقلت إن عبد الناصر جلس مع الانجليز وكل قادة الشعوب جلسوا مع الأعداء ليتفاوضوا معهم، لكن الذى حدث أن بعض المتطرفين عندنا انعدم عندهم التمييز بين شخص يجلس مع عدو ليتفاوض معه، أو يستميله للصف العربى، وبين شخص آخر يتآمر، وصل الأمر إلى هذا الحد من التعصب والآن قادة منظمة التحرير يسعون للجلوس مع الإسرائيليين، لكنهم غير قادرين، وحتى الكنيست الإسرائيلى لما وافق على الاتصال مع المنظمة وأزال الحاجز، رفض رئيس الحكومة الإسرائيلية، قبل ذلك كان الجلوس معه يعتبر تهمة ويعتبر خطيئة، لكن هذه الخطيئة تحولت الآن إلى مطلب يطلبه الشعب الفلسطينى فى الداخل والخارج، ولذلك أقول إن التطرف العربى لعب دورا خطيراً جداً وهذا التطرف مارسه الذين لم يحاربوا أبداً، فمثلا أحد قادة التطرف العربى وهو صدام حسين، متى حارب إلى جوار

القضية الفلسطينية؟ وهو الذى قام بأكبر دور فى مؤتمر بغداد الذى قاطع مصر وطرد مصر، بل إنه عندما امتلك قوة جبارة تستطيع أن تحارب إسرائيل، كانت النتيجة أنه وجهها نحو الكويت، الكل كان يتاجر بالقضية الفلسطينية من دون اعتبار لوجود شعب فلسطينى فى الأراضى المحتلة يعانى كل يوم، أنا كنت أقابلهم وكنت أعرف مدى معاناتهم ولى أصدقاء بينهم وأعرف مشكلاتهم التى لا يشاركهم فيها الفلسطينى الذى يعيش فى الخارج، الشعب الفلسطينى انقسم إلى قسمين: قسم تحت الاحتلال الإسرائيلى، ويريد الحصول على أى شىء فى إطار حل متدرج كما فعلت مصر، لكن الفلسطينيين فى الخارج يعيش الكثيرون منهم فى راحة وهم أثرياء، ولا يهمهم حل القضية، إذن التطبيع - كما أقول - يرتبط بالسلام لكن الذى منعنا من استكمال عملية التطبيع هو اهتمامنا بالقضية الفلسطينية واهتمامنا بالشعب الفلسطينى، ومع ذلك فهناك قدر من التطبيع على الصعيدين الرسمى والشعبى، فيوجد مثلا الآن تعاون على المستوى الزراعى، ومع الأسف الشديد إن الإسرائيليين المفترض أنهم رجال مال - بالدرجة الأولى - يعلمون المصريين الزراعة على الرغم من أفتراض أنهم رجال زراعة بالدرجة الأولى، هناك إذن تعاون، لكنه ليس «تطبيعاً» كاملاً وعندما تقرأ الجرائد المصرية ستجد أن هناك تطوراً حتى فى لهجتها تجاه إسرائيل.

د. عمرو عبد السميع: أريد أن أسأل السفير تحسين بشير عن الوضع العربى بعامة على مستوى المجتمع، هل يتصور أن هناك احتياجاً فكرياً واجتماعياً حقيقياً لأن تدور عجلة التطبيع بشكل أكبر بين الدول العربية عموماً وبين إسرائيل وليس بينها وبين دول المواجهة فقط؟

السفير تحسين بشير: بادئ ذى بدء أنا لا أريد أن تتحول مناقشة التطبيع إلى مسألة مصرية تتعلق بتقييم السادات، ما له وما عليه، ولكن للحق السادات كان يعتقد أن عليه استعادة الأرض المصرية، باعتباره الواجب الأول، ثم عليه أن يسعى بالنسبة لبقية الأراضى العربية، السادات خاض حرب ١٩٧٣ بمخاطر شديدة، ولو كان فشل فى الحرب لعُلق فى ميدان التحرير لأن بعض الأخطاء

التى وقعت والمصائب التى لا تزال ندفع ثمنها منذ حرب ٦٧ هى مشاكل أكبر من قدرتنا النفسية على أن نواجهها بصراحة، ولذلك أصبحت عملية تحرير أنفسنا عملية ضرورية، والملاحظ أن السادات لم يكن رجل سياسة، ولكنه أدرك حقيقة الموقف السوفيتى منذ لقاء كاسيجين فى أغسطس ١٩٦٧ فى مؤتمر جلاسبورج مع الرئيس الأميركى جونسون، حيث تقرر فى ذلك اللقاء/ المؤتمر الالتزام بالشرعية الدولية وقرارات الأمم المتحدة، وقال لنا الروس قوّوا أنفسكم دفاعياً كى ننفذ القرارات الدولية، وكلما تكلمنا يقولون التعبئة، وأيقن السادات وغيره أن الاتحاد السوفيتى لن يحارب من أجل مصر، ولن يعطى لمصر قوة تتحدى بها إسرائيل عسكرياً من حيث الكم والنوع، بل إن الاتحاد السوفيتى - مع شكرنا الجزيل له - ومساعدته كانت عظيمة، لكنه كدولة مسئولة كان لا يريد أن ينجر أو يجر العالم إلى حرب دولية بسبب الشرق الأوسط، ولذلك لم يكن هناك خيار غير السلام فى النهاية، وهو فى الواقع خيار مصرى قديم منذ قيام ثورة ١٩٥٢، حيث تم تقليص موازنة الدفاع، ولم تكن مصر تركز على إسرائيل، كنا نركز على بناء مصر والرئيس عبد الناصر قبل فى عام ١٩٥٤ خطاب أنتونى إيدن الذى دعا فيه إلى إيجاد حل، لكن إسرائيل كانت قد زادت من مساحتها بـ٢٩ فى المائة بعد قرار التقسيم، وطالب عبد الناصر بالالتزام بهذا القرار، والذى رفض هذا - فى ذلك الوقت - كان بن جوريون وبدأ يهاجم عبد الناصر ومصر، ففكرة الحل السياسى كانت واردة من البداية.

والنقطة التى يجب أن تكون واضحة جداً هى معنى الصراع، الصراع معناه قوى متصارعة قد تقود الصراع بوسائل عسكرية أو عسكرية وسياسية واقتصادية ونفسية وجميع الأنواع، أنا فى رأيى أن التطبيع ليس إنهاءً للصراع ولكنه إدارة للصراع بأسلوب آخر.

الصراع العسكرى بيننا وبين إسرائيل لم يكن فى الصالح العربى، لا صالح الدول ولا الشعوب ولا فى صالح منظمة التحرير الفلسطينية، وأيقن الفلسطينيون - بهذا - أن استمرار الصراع بهذه الصور العسكرية، معناه وضع

العرب فى خانة الخطأ الدولى، وإسرائيل فى جانب الصواب، لما جاء السادات كنت مسئولا عن وضع خطة السلام المصرية التى قضت على احتكار إسرائيل للسلام، وللمرة الأولى تصبح مبادرة السلام قوة مصرية وعربية، وعلينا أن نستمر فى المحافظة على هذا، فالعالم لا يقبل اليوم عملية حرب لا تنتهى، فهذا نوع من الانتحار السياسى لا معنى له، وليس له أى مدلول فى منطق العصر إلا قتل النفس، لكن ماذا يعنى السلام فى هذا السياق؟

اعتقادى أنه لا يوجد ما يمكن أن يسمى بسلام كامل، ولن يكون هنا سلام كامل إلا بعد المرور بتجربة تاريخية ينتهى فيها صرح العداء، فخلافنا مع إسرائيل ليس خلافا على حدود مثل جعبوب أو حلايب، فهناك خلاف مع منطق صهيونى متطرف كان يقول شعب بلا وطن يطلب وطناً بلا شعب، على الرغم من أن فلسطين كان فيها شعب، غلاة الصهيونيين - حتى الآن ضد التطبيع، فلا هم يريدون أن يكونوا شعباً متفرداً يمتد لأوروبا وأمريكا ومراكز التقدم ولا يندمجون فى الشرق الأوسط. إذن الصراع يستمر فى ظل السلام ولكن يستمر فى شكل تسابق فى الإنجاز السياسى والعلمى والاقتصادى والفنى والحضارى، ولكن حتى نصل إلى هذا تظل أمامنا مع إسرائيل مشكلة رهيبة جداً، نحن فى مصر دعاة جعل منطقة الشرق الأوسط وشرق البحر الأبيض منطقة منزوعة من جميع أسلحة الدمار الشامل، ووقف سباق التسلح، فليس فى صالح شعوب هذه المنطقة أن تدخل دولها فى سباق تسلح، فنحن فى سباق سلمى، ولكى يتحقق ذلك سنظل فى خلاف جوهرى مع إسرائيل إلى أن تقبل الدخول فى عملية جعل المنطقة منزوعة من أسلحة الدمار الشامل.

د. عمرو عبد السيمع: ما زلنا نتحدث عن السلام والتطبيع من منظور الدول، ونريد أن نتكلم عن الشعب وعن مدى احتياجه بالفعل إلى تغيير جوهرى فى هذا المجال؟

السفير تحسين بشير: عندما طلبنى الرئيس عبد الناصر لأكون متحدثاً باسم مصر، كنت فى - هذا الوقت - مدير مكتب الجامعة العربية فى نيويورك،

ومرتبى أربعة آلاف دولار، فيما كان مرتبى فى مصر كوزير مفوض فى الخارجية مائة جنيه، فاشترطت أن أقوم بجولة لأتعرف على موقف الشعب المصرى على الطبيعة، ولم يكن هناك سوى حزب واحد، حزب طليعى، وقد رفضت عضويته لأننى لست حزبياً، وقمت بجولة من كفر الشيخ إلى أسوان أسأل الناس، ومن أذكى الملاحظات التى قالها لى فلاح التقيته فى حقله بالشرقية، وهى قريبة من منطقة الحرب مع إسرائيل، قال: إن الحرب سيئة فنحن نخسر وهم يخسرون، والسلام مع وجود حالة الحرب هذه سيىء أيضاً، ولكن هناك شراً أهون من شر، فإذا أمكنا - بالسلام - أن نغير الوضع لأنفسنا وللفلسطينيين، فلنقدم عليه، ويتحقق التعايش السلمى ويكون هذا أقل الشرين، ويعطينا فرصة لشىء جديد، وفى رأيى أن كثيرين من الإسرائيليين يفكرون هكذا، ربما ليس كل قياداتهم، لكن -الآن - توجد حكومة بها ثمانية أو عشرة وزراء يعارضون رئيس الوزارة لأنه أبعد زعماء حماس، وأعود للقول بأن الصراع يظل مستمراً فى ظل التطبيع، والتطبيع أحد أسلحته، إلى أن يتم صرح السلام الحقيقى، ولا ينبغى أن نخاف من التطبيع فلا الشعب المصرى، ولا الفلسطينى، ولا الشعوب العربية تتسم بالبلاهة، الأخطاء الكبرى وقعت من الحكومات العربية، وآخرها من صدام حسين، وما زالت فى إسرائيل قوى عدوانية، لكنها مثل رافضى السلام من العرب تعتبر قوى هامشية، فالسياسة الإسرائيلية موضوع معقد، وبسبب عدم وجود اتصال فإن فكرتنا عنها هلامية، هناك درجة من الديموقراطية فى داخل إسرائيل بالنسبة للإسرائيليين وحتى للعرب الإسرائيليين ليست بنفس النسبة ولكن لدرجة كبيرة.

ولكن ليس معنى هذا أن التحضر الإسرائيلى فى بعض النواحى يمنع من وجود جزء فى داخل إسرائيل لا يؤمن بالتماثل مع العرب، التماثل لا يأتى كأى - عملية سياسية - إلا بالتدريج، والصراع مستمر، والسلام هو أرضية الصراع الجديدة، و الصراع طابعه أن يتحول، وعملية السلام الحقيقية هى تحويل الصراع، إلى عملية تعاون حسب المصلحة الذاتية لكل طرف.

د. عمرو عبد السميع: هل سمات الشخصية العربية فى مواجهة الشخصية الإسرائيلية تسهل عملية الالتقاء أكثر فأكثر أم أنها تؤدى إلى مزيد من هواجس الشك؟

على سالم: الملاحظ - أولاً - أن الشخصيتين تؤمنان بديانات متقاربة وفى الممارسة يربطهما عنصر الضرورة، فنحن جيران وإحدى النقاط الخطرة فى السياسة الإسرائيلية أنها لا تشعر بمسئوليتها عن المنطقة، فقادة إسرائيل يحصرون مسئوليتهم فى شعبهم، لكن واقع الأمر أن إسرائيل مطالبة فى الفترة المقبلة بأن تشعر بمسئوليتها عن جيرانها أيضاً وعن التقدم فى المنطقة ككل، السلام سيتدعم بالمزيد من الديموقراطية فى المنطقة العربية لأن مخاوف العرب من إسرائيل ترتبط بمخاوفهم الأخرى.

د. عمرو عبد السميع: بأى معنى؟

على سالم: أعتقد أن المواطن العربى يشعر بغيرة من الإسرائيلى لأنه يتمتع بحقوق سياسية أكثر والمنطقة العربية - بطبيعتها - داخلة على مرحلة جديدة من حقوق الإنسان الفرد، وهذه حقيقة فعلية، المزيد من حقوق الإنسان الفرد فى المنطقة العربية، يعنى المزيد من سقوط كل «التابوهات» والتفكير فى مصلحة الفرد فى إطر ليبرالية اقتصادية، وسياسية فى المنطقة العربية، وهو الذى سيصنع القاعدة الحقيقية لما يسمى بالتطبيع فقد تكون للمفكر مصلحة فى التمسك بطريقته القديمة فى التفكير، لكن فى التعامل اليومى لحركة التجارة ستكون هناك مصلحة فى استيراد هذا الكتاب، أو ذاك للرغبة فى قراءته، فالمزيد من الليبرالية فى مصر سيدعم التطبيع، لأن المزيد من الليبرالية يقود للمزيد من العمل، وقد أشار الدكتور عبد العظيم إلى التعاون فى مجال الزراعة، لكن لا بد من ملاحظة أن الخبرة التى تقدمها إسرائيل ليست فى الزراعة نفسها وإنما فى التكنولوجيا الجديدة وفى التطوير العلمى للزراعة، بينما - فعلاً - الزراعة نحن أساتذة فيها.

وأنا كانت لى رغبة فى أن أعرف كل شىء عن الحركة الثقافية الإسرائيلية، وقد توقعت أن تكون الثقافة مدخلاً مهماً للسلام، لكن توقعى أحبط، لأنه إذا كنا غير مهتمين بالثقافة جدياً هنا، فلماذا سنهتم بثقافتهم؟ وأريد - بعد ذلك - التعليق على ما قاله الدكتور رفعت السعيد من أنه لا يمانع فى الاتصال مع أنصار السلام الآن، وأذكر أنه عقب المعاهدة مباشرة فى حديث لى مع الاستاذ محمد عودة قلت له: دعنا نتكلم سياسة.. فليس أمامكم فى حزب التجمع إلا التعاون مع اليسار الإسرائيلى لتدعيمه لأن السلام سيتحقق لا محالة، وقلت له: على الأقل ادعوا العرب الإسرائيليين الذين نحترمهم، لكن فى تلك الفترة كان الرفض لكل شىء هو سيد الموقف وهو أمر طبيعى جداً، لأننا إزاء قضية عاطفية، والقضية العاطفية تفسد كل شىء.

د. عمرو عبد السميع: نخرج من هذا الاستطراد الطويل السياسى ونعود مرة أخرى إلى السياق الذى كنا نتحدث فيه وهو الشخصية الإسرائيلية من وجهة الشخصية العربية، من وجهة النظر الدرامية حضرتك ذكرت المخاوف التى تعوق هذا، وذكرت ضرورة وجود محيط ليبرالى تستطيع فيه فكرة العمل أن تنمو أكثر فأكثر فتسهل فكرة الالتقاء.. وماذا أيضا؟

على سالم: لا بد أن نعترف بأن الشخصية العربية أخذت درساً بليغاً جداً فى حرب الخليج، وتعلمت ألا تأكل طعاماً من الكلمات مهما كانت نبيلة، وربما أصبحت أقرب - الآن - للتفكير الرياضى بمعنى واحد + واحد يساوى اثنين، وأتصور أن الشخصية العربية - حالياً - بعد حرب الخليج أقرب فعلا للعقلانية فى التفكير، لأنها عرفت أن عدوها يجب ألا يكون له اسم محدد بالضرورة، وإنما عدوها الذى يريد قتلها.

د. عمرو عبد السميع: هل يحدث التغير بهذه السرعة فيما يسمى أنساقا فرعية للشخصية القومية؟

على سالم: سيحدث بهذه السرعة عن طريق التجارة، وبسرعة لا تتصورها وبخاصة بعد حل القضية الفلسطينية، وبدء التطبيع الطبيعى بين الشخصية

الفلسطينية والشخصية الإسرائيلية، فقضية الصراع السلامى ليس بين القاهرة وتل أبيب فقط، ولكن بين القاهرة - طهران - تل أبيب، هذا الصراع السلامى بين ثلاث دول، كل منها تريد أن تفرض نموذجا على المنطقة، هذا الصراع نستطيع أن نسميه صراع فرض نموذج، هناك عواصم أخرى فى المنطقة تخلت عن هذا الصراع وخرجت منه، بعضها لأنها استخدمت أساليب غير أساليب العصر فى إدارة الصراع، وبعضها لأنها لم تفطن لدورها فى فرض النموذج لكن الصراع سيكون موجوداً بين الثلاثة، والمهم - كما قال السفير تحسين - هو كيفية التحكم فيه، لجعله سلامياً، لأننا لا نستطيع أن نثير أعاصير حول العرق والجنس والدين، فهناك أعاصير تهب على المنطقة من الشرق والغرب، الآن وأهمها إعصار حقوق الانسان الفرد، وهنا تسقط كل الكلمات التى ليس لها معنى محدد فى الواقع على الأرض، وتظل مصلحة واحدة هى مصلحة الإنسان الفرد وحقه فى أن يحيا فى حرية وفى أمان.

د. **عمرو عبد السميع**: ما تصورك لتأثير رد الفعل العربى تجاه الجائزة الإسرائيلية التى حصل عليها إميل حبيبى ومدى ما يعكسه من إمكان الالتقاء أو عدم الالتقاء؟

على سالم: بمزيد من الصراحة والوضوح، ليس الكُتاب دائما على وعى ويعبرون بالضرورة عن مشاعر شعوبهم، فهذا أمر لا يتأتى إلا لكُتاب على درجة عالية من الإبداع، وهذا ليس حال الذين ثاروا على قبول إميل حبيبى للجائزة فأنا لم أسمع عن شعب أو شارع مثلاً فى مدينة الرياض أو القاهرة أو فى السنبلاوين أو فى الكويت قالوا يسقط أميل حبيبى، لكن قرأنا لكُتاب يطالبون برفض الجائزة، ألا يذكرنا ذلك بجائزة صدام التى أخذها يوسف إدريس، فقد تعرض لهجوم أيضاً، واكتشفت بعد ذلك أن كاتباً آخر حصل على الجائزة نفسها، ولم يقترب منه أحد وهو فتحى غانم.

ولذلك أقول إنه عندما نقترب مما يفعله الكتاب العرب يجب أن نقترب بحرص، فالكُتاب العرب ٨٠ فى المائة منهم يعملون عند حكومات، وفى حاجة

إلى معارك بطولية لا يقدرون عليها إلا بشأن ما لا عقاب فيه، وينطبق ذلك على رفض اتحاد الكتاب العرب استعادة اتحاد كتاب مصر لعضويته، فماذا يعنى هذا الآن؟ وإذا أخذنا هذا الموقف بشكل جدى، وقلنا إن لدى القائمين على اتحاد الكتاب العرب أسبابا وجيهة وموضوعية، فهل يعنى ذلك ان تنضم مصر لأوروبا؟ إذن فأين ينضم الكتاب المصريون إذا أغلق أمامهم اتحاد الكتاب العرب؟ واعتقادى أن الهجوم على أميل حبيبى لم يكن يُمثل أكثر من غيرة بعض الكتاب منه.

لكن هذا الوضع سيتغير بمزيد من الليبرالية، بمزيد من حرية الإنسان الفرد، بمزيد من فتح الأسواق، بمزيد من فهم الآخر.

د. **عمرو عبد السميع**: استمعنا إلى مداخلات من الدكتور عبدالعظيم رمضان والسفير تحسين بشير والأستاذ على سالم، ولدى الدكتور رفعت السعيد بعض التعقيبات عليها.

د. **رفعت السعيد**: أبدأ بالتعقيب على حديث عبدالعظيم رمضان عن عبقرية السادات، وأوضح أولاً أننى لا أدخل فى خصومات شخصية مع أحد سواء حاكماً أو محكوماً، لكننى أعتقد أن العبقرية لا تتجزأ، وأن النموذج الذى خلفه السادات لا ينم عن أى نوع من العبقرية لقد أستلم السادات مصر دولة مهيبة وسلمها دولة مهيضة الجناح.

د. **عبدالعظيم رمضان**: استلمها دولة محتلة وسلمها دولة محررة.

د. **رفعت السعيد**: كان فيها جزء محتل.. لكنها كانت دولة تمتلك إرادتها ولم تكن تابعة للأميركيين، وفيما يتعلق بى أنا شخصياً، والذى أثار هذه القضية هو السفير تحسين بشير، أنا كنت ولم أزل رجل سلام، عملت كثيراً دفاعاً عن السلام، سواء فى العالم أو فى قضية الصراع العربى - الإسرائيلى، ولا أدرى هل السيد السفير يعرف واقعة أن الرئيس السادات فصلنى من الاتحاد الاشتراكى لأننى قابلت أحد دعاة السلام الإسرائيليين فى مؤتمر للعدل والسلام

فى الشرق الأوسط عقد فى إيطاليا، فقد أحلت للجنة نظام وأصدر حافظ غانم قراراً بفصلى من الاتحاد الاشتراكى.

د. عبدالعظيم رمضان: هل كان السادات أكثر تطرفاً منك؟

د. رفعت السعيد: لا ، كان رافضاً لهذا الموضوع فى البداية، وأقول إنه ليس صحيحاً أن هناك موقفين، مع وضد كامب ديفيد، فهناك ثلاثة مواقف: موقف مع كامب ديفيد باعتباره سلاماً غير عادل وغير شامل، وموقف ضد مبدأ السلام مع العدو الصهيونى، وموقف مع السلام العادل والشامل، ولهذا.. فبينما كانت ماكينة الإرهاب الساداتى تدوس علينا، كانت كثير من القوى العربية تهاجمنا وتعتبرنا خونة ومجرمين وحتى بعض أعضاء حزب التجمع كانوا يهاجموننى شخصياً، لأننى أرى أن هناك قوى سلام إسرائيلية يجب أن نتعامل معها، إذن لا ينبغى الخلط فنحن مع السلام، لكن السلام الشامل والعادل.. والتجربة تثبت - الآن - أن السلام الذى تحقق ليس شاملاً.

والنقطة الثانية هى أن من قَبَل كامب ديفيد يقبل التطبيع. هذا طبيعى، أى قبل التسوية التى أعتقد أنها سلم غير شامل وغير عادل، لكن الدكتور عبدالعظيم وضعنى - ووضع نفسه ربما فى تناقض - عندما قال إنه بطبيعة الحال التطبيع لن يتم إلا بعد أن تُحل القضية الفلسطينية، ونحن متفقان.. عندما تحل القضية الفلسطينية وتتحقق الأمانى القومية المشروعة للشعب الفلسطينى ويحصل على حقه فى إقامة دولته على أرضه، فى هذه الحالة من ذا الذى يبقى ضد التطبيع مع الدولة الإسرائيلية؟ فأنا ممن يطالبون بدولتين لشعبين، وعندما تقوم دولتان لشعبين أعتقد أن الفلسطينيين سيصبحون المعبر إلى العلاقة التطبيعية بين العرب وإسرائيل، وفى هذه الحالة لست أعتقد أن عاقلاً سيرفض التطبيع، لأن محور العداء انتهى إلا إذا كان هناك مبرر عرقى أو دينى يرفض عملية التطبيع، وأنا أربأ بنفسى وأربأ بالشعب المصرى أن يضع مبررات عرقية أو دينية فى هذا الموضوع.

كما أننى أميز بين التفاوض والتطبيع، فأى مناضل دفاعاً عن قضية يمكن

أن يتفاوض، والفيتناميون كانوا يتفاوضون وليس بمقدور أحد أن يشكك فى ثوريتهم أو دفاعهم عن قضيتهم، لكن التطبيع أى: إزالة حواجز العداء والسماح للعدو أن يتغلغل فى داخلك وفى نسيجك وأن تتغلغل أو تحاول - أنت - أن تتغلغل فى نسيجه، فهذه قضية أخرى، التطبيع يكون فى أعقاب السلام الذى نختلف هنا على تفسيره، وهناك أيضاً مسألة ألمح إليها الدكتور عبدالعظيم، وقالها صراحة الأستاذ على سالم، وهى أن العربى يشعر بالغيرة من الإسرائيلى لأن الإسرائيليين عندهم تقدم، ولأن عندهم حالة من الحرية، أولاً أنا ممن يعتقدون أنه ليس شعباً حراً ذلك الذى يستعبد غيره، ولا يمكن أن يبقى الشعب الإسرائيلى حراً ولا ليبرالياً لأن الليبرالية وجدان.

د. **عبد العظيم رمضان**: هل يعنى ذلك أن الإنجليز ليسوا شعباً حراً لأنهم استعبدوا الكثير من شعوب العالم؟

د. **رفعت السعيد**: الفرق هو أن عملية الاستعمار لم تكن تتم لصالح الجماهير الإنجليزية لكننى أركز على العبارة التى استوقفتنى وهى أن العربى يشعر بغيرة من الإسرائيلى.. الغيرة غير الرفض، الغيرة هى دعوة للاقتداء والتماثل وأنا أشك كثيراً أننا نحاول أن نقتدى بالإسرائيليين أو نتماثل مع ممارساتهم الأساسية.

د. **عمرو عبد السميع**: فلتسمح لى هذه النقطة حول مسألة الاقتداء من عدمه هى فى الواقع متعلقة بمدى معرفتى عن هذا الآخر الذى أطالب بأن أعرفه - أحياناً - كعدو وأحياناً كجار يمكن التطبيع معه ويمكن إقامة علاقات سلمية معه، هل تظن أننى فى غياب التطبيع الذى يسمح بأن أدخل فى حوارات متعددة الدرجة والمستوى ككاتب صحفى وكمثقف وكتاجر هل أستطيع أن أعرفه - بداية - لأقرر ما إذا كنت أقتدى به أم لا؟

د. **رفعت السعيد**: الشعب العربى يعرف من الإسرائيليين ممارستهم، ولهذا هو يقرأ هذه الممارسات.. ومعرفة العدو لا تتم - بالضرورة - عن طريق التطبيع وقد نجحت الـ كى. جى . بى. فى أن تعرف الكثير عن المجتمع

الأميركى، ونجحت الـ سى. آى. ايه. فى أن تعرف الكثير عن المجتمع السوفييتى، ونجح الإنجليز فى أن يعرفوا كثيراً عن ألمانيا النازية، ليس عن طريق التطبيع، فالمعرفة شىء آخر، وأنا أعرف أن الكثير من الباحثين المصريين والباحثين الإسرائيليين يعرفون الكثير، والسفير تحسين بشير - ببحثه ومعرفته - يعرف الكثير عن المجتمع الإسرائيلى.

د. عمرو عبد السميع: أليس التطبيع من ألوان المعرفة.. حضرتك مثلاً عضو فى نقابة الصحفيين المصريين التى أخذت قراراً يمنع على الصحفى المصرى أن يذهب إلى إسرائيل فكيف يمكن أن تقول بأن الصحفى المصرى يستطيع أن يعرف شيئاً عن صحافة العدو الذى يطالب بمحاربته أحياناً أو الصديق الذى يطالب بالتطبيع معه أحيانا.. كيف يمكن ذلك؟

د. رفعت السعيد: إذا كان المقصود بالمعرفة هو التلامس فالمعرفة ليس شرطاً لها أن تتلامس.

الدكتور عبد العظيم درس تاريخ الحقبة المملوكية ولم يتلامس معها، وأنا درست تاريخ الحقبة العثمانية ولم أتلامس معها، ونحن نستطيع معرفة الكثير عن إسرائيل من دون تطبيع بدليل أن أحداً لم يطالب بالتطبيع قبل كامب ديفيد، وكان العدو عدواً ومعرفته كانت ضرورية لكن لم يطالب أحد أن تتحقق هذه المعرفة عن طريق التطبيع معه، والقضية أنهم طالبوا بالتطبيع عندما تصوروا أن السلام قد حل وأن المشكلة قد انتهت، أعتقد أن هذه المشكلة لم تنته والذى أخشاه هو أن نستخدم الهزيمة سُلماً للتطبيع، فى ظل تصور أنهم أكثر تقدماً، وبالتالى يكون التطبيع مدخلاً لمزيد من الهزيمة، ولنأتى - بعد ذلك - لقضية أميل حبيبى وهو صديق شخصى لى، وأنا أول من وجه له دعوة لزيارة القاهرة كجزء من إحساسى بضرورة التواصل مع عرب إسرائيل.

د. عمرو عبد السميع: هل كانت دعوة شخصية؟

د. رفعت السعيد: نعم دعوة شخصية لأن حزب التجمع ليس طرفاً فى

الموضوع، ولكنى أيضاً رجل قيادى فى الحزب، ولا أستطيع التصرف بشكل مستقل تماماً.

وقد زارنا فى الحزب وعقد اجتماعاً مع قياداته عندما وطأت قدمه - للمرة الأولى - مصر، طبعاً الأستاذ على سالم - بحسه الدرامى - قال إن الناس فى السنبلاوين لم يزعجهم أن إميل حبيبى تسلم الجائزة، لكن الكُتاب العرب غاروا منه، أنا لا أعتقد هذا فالناس فى الناصرة استاؤوا لما إميل حبيبى أخذ جائزة من الإسرائيليين ، فى الوقت الذى يطحنون الانتفاضة، وبالتالى الشعب المعنى والقوى المعنية، هى التى رفضت وأنا - شخصياً - أتابع الصحف العربية التى تصدر فى إسرائيل، واكتشفت وأقرر أن أغلب الكتاب العرب فى إسرائيل قد أدانوا استلام إميل حبيبى للجائزة، ليس من منطلق أنهم رافضون للتعامل مع الإسرائيليين فهم يتعاملون معهم كل يوم، لكن من منطلق أن هذا تبييض لوجه العدو، الذى يطحن الانتفاضة، وما أبأس أن تقترب من العدو، وأن تبتعد عن شعبك فهذا هو خطأ إميل حبيبى، إنه فى الوقت الذى كان شعبه يستشعر قدراً عالياً جداً من الكراهية للممارسات الإسرائيلية قبل أن يمد يده لإسرائيل بلا ثمن، والنقطة الأخيرة بشأن ما قاله الأخ على سالم - أيضاً - من أن معارضة إميل حبيبى هى معارضة كُتاب يسعون إلى بطولة بلا عقاب، لا، أنا أفرق بين غوغائية بعض الكتاب وبين الموقف المبدئى لسياسيين ولكتاب آخرين.

فقد عارضنا كامب ديفيد ونلنا عقاباً صارماً، وأسجل أنه خلال معارضة حزب التجمع لكامب ديفيد، أنا - شخصياً - اعتقلنى السادات ثلاث مرات، واعتقل من أعضاء حزب التجمع ألفين خلال معارضتهم لكامب ديفيد، ودار البلدوزر السلطوى ضدنا بعنف شديد ولم نتخل عن موقفنا، ولا كنا نسعى إلى بطولة زائفة، قد نكون أخذنا موقفاً معارضاً مخالفاً قد يتفق معه هذا الطرف أو ذاك، لكن كل ما فعلناه أننا التمسنا موقفاً تصورنا أنه موقف صحيح مصرياً وعربياً وأننا تمسكنا بهذا الموقف، والشىء الغريب أننا لسنا مدركين أن

الكثيرين عادوا فانحازوا إلى هذا الموقف، وأخيراً أعلق على فكرة قيلت فى هذه الندوة وهى أن هناك جُزراً فى إسرائيل معارضة لليبرالية والتقدم وأنا لا أعتقد أنها مسألة جزر.

فالجسد الإسرائيلى الأساسى صهيونى توسعى، لكن بداخله جزر سلمية ضد التوسع وضد الاحتلال الصهيونى هى جزر محددة بالضرورة -كما يتضح- من العملية الانتخابية.

فالسائد هى الروح العنصرية التى تعتقد بأن اليهود هم شعب الله المختار والتى تعتقد بالتوسعية الصهيونية وبإزاحة العرب.

د. **عمرو عبد السميع**: عندى سؤال عن قرار عدم تحريم الاتصال مع منظمة التحرير الفلسطينية.. هل ترى أن هذا القرار عامل مساعد على التسوية الفلسطينية الإسرائيلية أم أنه عامل مساعد على التطبيع الفلسطينى - الإسرائيلى؟

د. **رفعت السعيد**: أنا أعتقد أن عملية السلام الحالية بدأت بنوع من التحايل الذى تدرك كل أطرافه أنه تحايل، وكان الإسرائيليون والأمريكان ووفد التفاوض الإسرائيلى يعرفون - جيداً - أن منظمة التحرير الفلسطينية هى التى اختارت الوفد، وأن أعضاء هذا الوفد هم من منظمة التحرير بل وممثلين لفصائلها، وكان معروفاً أن نبيل شعث هو المستشار السياسى الأول للوفد وهو -أيضاً- المستشار للرئيس عرفات، وكان التحايل نابعاً من أن الحكومة الإسرائيلية تعرف علاقة أعضاء الوفد بمنظمة التحرير، لكن لا تريد أن تعترف بهذه الواقعة فما الذى حدث بعد ذلك؟ إنه لأسباب متعددة يتنامى تيار شديد التطرف الدينى داخل الواقع الفلسطينى هذا التيار يتمثل فى «حماس» وحتى فى بعض المنظمات اليسارية التى أصبحت أقرب - الآن - إلى تفكير حماس ليس من ناحية «التأسلم»، ولكن من ناحية حل القضية الفلسطينية، وأدى ذلك إلى عملية تمحور حيث تقف فتح - أحياناً - وحدها وتصدر بيانات موقعة من حماس والديمقراطية والشعبية، وهذا جديد، يعنى أقصى اليسار الفلسطينى إذا

اقتنعنا بأن نسميهم يساراً مع اليمين الفلسطينى، بدأوا يُكوّنون محوراً رافضاً لاستمرار عملية التفاوض وعملية كامب ديفيد، وبذلك أصبح من الضرورى إيجاد وفد يمثل منظمة التحرير الفلسطينية، واستخدام ثقل المنظمة كممثل شرعى ووحيد للشعب الفلسطينى، واستخدام ثقل عرفات كزعيم يمتلك كاريزما عند الشعب الفلسطينى فى استمرار عملية السلام وهذا القرار هو مجرد خطوة ستنتهى بأن يجلس الطرفان للتفاوض وجهاً لوجه.

د. **عمرو عبد السميع**: يبدو أن هناك جانباً ماضوياً فيما يتعلق بالظاهرة التى نحن بصدد الحديث عنها الآن، هذا الجانب يتعلق فى الواقع بأننا إزاء تصورين للتاريخ، وأسال الدكتور عبد العظيم رمضان - كمؤرخ - كيف يرى إمكان حل معضلة وجود تصورين للتاريخ فى منطقة واحدة كمدخل إلى فكرة التطبيع؟.

د. **عبد العظيم رمضان**: ماذا تقصد بالتصورين؟

د. **عمرو عبد السميع**: تصور عربى وتصور إسرائيلى.

د. **عبد العظيم رمضان**: الذى يحل هذه المشكلة - فى تصورى - هو البديل المتاح الآن أى: عملية السلام التى نعرف أن لها سلبياتها الكبيرة، لكن لا يوجد خيار آخر فهل نحن نملك قوة عسكرية تستطيع أن تفرض، أو تعفينا من مشقة المفاوضات الطويلة؟، ومن سوء الحظ أنه لما كانت لدينا هذه القوة كان الجانب المتطرف - عندنا - يمنعنا من استثمارها فى مفاوضات ندخلها بكفاءة من مركز قوة، نحن - الآن - فى مركز ضعف - على وجه التحديد - منشؤه خارجى وداخلى. خارجى لأن القوة الوحيدة فى العالم وفى التاريخ كله التى كانت تساند حركات التحرر الوطنى وهى الاتحاد السوفييتى سقطت، وهذا العامل سلبى بالنسبة لنا ويضعف قوتنا العسكرية، العامل الثانى داخلى وهو أن العالم العربى انشغل بالحرب بينه وبين نفسه وثبت أن التسلح الذى كنا نطالب به، لم يكن بهدف الحرب مع إسرائيل وإنما للحرب فيما بيننا، وثبت أن أكبر المتطرفين فى المنطقة العربية الذين كانوا يقودون حركة الصمود والتصدى لعمرهم ما حاربوا إسرائيل، فقد حاربوا عرباً أو مسلمين.

والمثال على ذلك واضح فى سياسات صدام حسين والنظام العراقى، النظام العراقى عندما ضُرب له المفاعل الذرى عام ١٩٨١، لم يفكر فى أن يرد على ذلك وبدلاً من أن يدخل فى حرب أو صراع مع إسرائيل - كما كنا نتوقع - إذا به يخوض معركة مع الكويت، فكما قلنا التطرف العربى لعب دوراً معطلاً جداً لحل القضية الفلسطينية، ولضرب حركة التحرر الوطنى العربية، إذن يجب أن نعترف بأننا - الآن - فى موقف ضعف فلا توجد دولة خارجية يمكن أن تساعدنا فى مقاومة إسرائيل بالذات، ولا نحن نملك القوة العسكرية التى تمكننا من أن نحارب إسرائيل، إذن ليس أمامنا غير طريق المفاوضات أو طريق السلام، الطريق الطويل الذى نعرفه، وفى هذا السياق فهل مما ينفع فى حل القضية الفلسطينية وغيرها أن نضرب نموذجاً للشعب الإسرائيلى لسلام حقيقى بين مصر و إسرائيل؟ أم نعطل عملية السلام، ومعروف أن أقساما كبيرة من الرأى العام الإسرائيلى تقول إننا تركنا مساحة ١٦٠ ألف كيلو متر مربع فى سيناء، فما الذى أخذناه من المصريين مادام لا يوجد تطبيع؟ وما الذى يجعلهم يحلون مع سورية مثلاً؟ ومعنى ذلك أننى لا أقدم نموذجاً يساعد على نشر عملية السلام وتوسيع نطاقها بحيث تشمل بقية البلاد العربية، ولى بعد ذلك تعقيب سريع على هامش كلام الدكتور رفعت السعيد، عن أن التجمع دفع ثمناً غالياً بسبب موقفه ضد السادات وضد المبادرة وأنا أقول - بالعكس - إن الذين أيدوا المبادرة هم الذين دفعوا غالياً لأننا قوطعنا من العالم العربى كله، ويعرف الجميع أن القائمة كانت تضم شخصيات مثل نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وأنيس منصور وأنا.

د. **رفعت السعيد**: أعتقد أن المقاطعة ليست أسوأ من السجن.

د. **عبد العظيم رمضان**: فلنقل إن كل واحد دفع ثمن موقفه المبدئى، وأنا طبعاً لا اشك فى موقف التجمع، وأحترم موقفه لأنه يعتقد أنه حق وعدل، كما أننى أومن بأن موقفى فيه حق وعدل، إنما الكل دفع، وللأسف الشديد أن المثقفين هم الذين يدفعون الثمن، والسياسيين هم الذين يستفيدون من هذا

الثمن، لكن هل هناك بديل لطريق السلام الموجود حالياً؟ وماهى الوسائل التى تنفع طريق السلام؟ هل التطبيع أكثر فائدة أم أن نظل فى معارك بهذا الشكل مع إسرائيل؟ رأيى الشخصى أن أعداء التطبيع وأعداء الحل السلمى هم أكبر حلفاء إسرائيل فى المنطقة، وهذا ما حدث على مدى الصراع العربى - الإسرائيلى، باستمرار كان التطرف هو الذى يخدم إسرائيل، بدليل أنها - اليوم - أقوى مما كانت، والسبب هو التطرف، فأين جبهة الصمود والتصدى الآن؟ ولماذا لم تتصد؟ ولماذا لم تصمد؟

ولذلك فأنا أنظر بريبة وشك شديدين لكل متطرف فى هذه المنطقة العربية وهو يعرف جيداً أنه لا توجد قوة عسكرية تسنده.

د. **عمرو عبد السميع**: مازلنا إزاء موقفين فيما يتعلق بفهم التاريخ فى منطقة واحدة وهذا ما طلبت منك إيضاحه؟

د. **عبد العظيم رمضان**: فى تصورى الشخصى أننا فى هذه المنطقة نمثل الغالبية الساحقة، والإسرائيليين أقلية صغيرة، نحن نملك ثقافة عريقة قديمة فى هذه المنطقة والإسرائيليون يملكون ثقافة مجمعة من جهات شتى، ونحن عندنا ما نقدمه للإسرائيليين وهم ليس لديهم ما يقدمونه لنا.

نظرتى لإسرائيل أنها ليست الخطر الحقيقى، إنما الخطر الحقيقى فى تصورى هو الإمبريالية العالمية التى تتحرك فى إطارها إسرائيل، ويتحرك فى إطارها صدام حسين، وتتحرك فى إطارها قوى كبيرة فى هذه المنطقة، نحن الأصل فى هذه المنطقة ونحن الباقون بها، أما إسرائيل فهى تواجه مشكلة عنيفة فإما أن تقبل بالاندماج فى هذه المنطقة وتعيش فى سلام أو لا تقبل، إذا لم تقبل سيستمر الصراع، لكن فى الوقت نفسه القضية بالنسبة لها قضية خوف، خوف حقيقى وأنا لمسته، هم لا يريدون مجرد ورقة سلام، وإنما يريدون أن يحسوا بالسلام - بالفعل - فى تعاملاتهم، وكان اليسار يقول إنهم يريدون أن يستعمرونا اقتصادياً، ونحن نقول إنهم لا يستطيعون، لأننا مستعمرون -بالفعل- من قوى أكبر منهم، وهى القوى المهيمنة عليهم - هم أنفسهم -

إذن ماذا بمقدورهم أن يفعلوا؟ وكيف يستعمروننا اقتصادياً أو ثقافياً؟ بل أقول إننا -نحن- القادرون على أن نستعمرهم ثقافياً إذا أردنا.

د. **عمرو عبد السميع**: أعتقد أنه إذا كنا نتكلم عن الاستعمار الثقافى أو الفكرى فأنا أفهم - مثلاً - أن قيام مجتمع يملك آلة دعاية قوية ببث مفاهيم معينة فى ذهن مجتمع آخر هو لون من ألوان الاستعمار الثقافى، أفلا تظن أنهم فى هذا ناجحون فى تحويل دلالات الكلمات يعنى تعبير «الهولوكوست» - مثلاً - أصبح يعنى شيئاً آخر تحت وطأة الاستخدام المتعمد لآلة الدعاية الإسرائيلية، فأصبح معناه (ضحايا النازى من اليهود) بعد أن كان يعنى (القربان).

د. **عبد العظيم رمضان**: أنا لا أحرمهم من أدواتهم للدعاية وغيره، ولكن أنا عندى أدواتى للدعاية فلندعمها ونستخدمها تجاههم، فهل نحن نستخدم أسلحتنا الثقافية؟ الواقع أننا ممتنعون حتى عن استخدام هذه الأسلحة بحجة المقاطعة، وبحجة أننا لا نريد أن نناقشهم.

د. **عمرو عبد السميع**: كنا قد بدأنا الحديث حول تأثير التعارض بين التصورين العربى والإسرائيلى للتاريخ على إمكانات التطبيع، فهل نستمع إلى وجهة نظر السفير تحسين بشير؟

السفير تحسين بشير: أعتقد أنه كانت لدينا رؤيتان للتاريخ: الأولى: قالت إن استمرار الصراع سيؤدى إلى وحدة العالم العربى، وعندئذ نستطيع أن نتفاهم مع الوجود الإسرائيلى، وهذه الرؤية سقطت فى حرب ١٩٦٧، وتفكك العالم العربى، وهو اليوم بعد حرب الخليج ازداد تفككاً عن أى وقت فى تاريخه، والرؤية الثانية: أن العالم - الآن - يمر بمرحلة تغير عميق، وهذا التغير العميق يفرض على رئيس البوسنة المسلم أن يفاوض رئيس البوسنة الكرواتى والصربى على الرغم من مقتل واغتصاب آلاف من النساء والفتيات البوسنيات، لأنه فى وضع عالمى لا يستطيع الحسم، فالنقطة التى آثارها الدكتور رفعت، وهى أننا مستعدون للتفاهم على سلام، لكن لا نقيم تطبيعاً إلى أن

يأتى السلام، لا معنى لها، وهذا السلام لن يسقط من أعلى، ليست هناك فى العالم قوة تستطيع أن تفرض على العرب ولا على إسرائيل هذا السلام، فشلت إسرائيل فى أن تفرض السلام على العرب باحتلال لبنان أو باحتلال الأراضى بعد عام ١٩٦٧، وفشلت الأمم المتحدة وأميركا فى أن تجد حلولاً حتى لمشكلة قبرص، فنحن نواجه علاقات دولية وديناميكية جديد، وهو الآن الذى يفرض خوض كل المعارك بما فيها معركة التطبيع، وهذا التطبيع ليس تطويعاً، هو عامل مساعد مفيد فى السعى لتغيير اتجاهات الشعب الإسرائيلى، وأعتقد أنه نتيجة التطبيق العملى والواعى للتطبيع، يمكن الوصول إلى مصالحة تاريخية تحقق قيام أمة عربية لها صفاتها، وطريقها فى التغيير والتقدم، تعيش فى سلام وتتعامل مع أمة إسرائيلية لها طريقتها، وبيننا خلافات، وهذه الخلافات طبيعية فى منطق القرن المقبل، من دون أن يفرض طرف ما طريقته على غيره، لكن تحقق اعتماد متبادل لا يعنى الخضوع المتبادل، وإنما معناه الوصول إلى شروط وقواعد.

ورأيى أن اليابان وألمانيا تحت الاحتلال، نجحتا على الرغم من التطبيع المفروض عليهما فى أن يحققا - بعد ٢٠ سنة - ما لم يحققه أحد وأصبحتا أقوى من المحتل، ولذلك يجب أن نستغل كل ما هو متاح فى العالم وصولاً للسلام، والسلام أكرر معناه لا يعنى السلام بين الدول العربية وإسرائيل، ولكن بإيجاد أكبر نسبة من الشعب الفلسطينى على أكبر أرض فلسطينية.. كما ينبغى أن يكون التعامل بين الفلسطينيين والإسرائيليين حسب قواعد معقولة للتعامل السلمى السائد فى العالم.

د. عبد العظيم رمضان: أنا - الحقيقة - لا أتكلم عن الرأسمالية البازغة، وفى رأيى أن العالم العربى ليس فيه رأسمالية، ولكنه فى مرحلة تجارية (مركنتالية) لم تَسمُ بعد إلى مرحلة الرأسمالية، وعندما تصبح رأسمالية نتكلم عنها، هناك محاولات تجارية، وأسس مُشتقة وأنا - رأيى - أن إقامة علاقات السلام والمصالحة التاريخية هى الثورة التى تحقق للشعوب العربية أكبر مجال

للتحرر من التخلف، بسبب الحرب وبسبب نظم لا ديموقراطية، هذا بالنسبة لى هو التطبيع، أى الوصول إلى حالة سلام، تتيح مجالاً أكبر للشعوب كما تنطلق - كما تريد - وهذا لا يمنع أننى شخصياً أؤيد الحرية الفردية، ولكن أؤيد فى إطار التعاون الاجتماعى المسئولية الاجتماعية.

د. عمرو عبد السميع: فيما يتعلق بالنقاش حول فكرة التطبيع، أظن هذه القضية انقسمت حولها الآراء بأكثر مما انقسمت حول أى قضية أخرى، وأظن أن منهج السجال بالاعتماد على الاتهام المتبادل وليس الاعتماد المتبادل أصبح هو السائد فيما يتعلق بمناقشة هذه القضية فى مصر والعالم العربى.. فى تصورك ما هى خريطة المثقفين العرب - بالضبط - تجاه هذه القضية؟

على سالم: فى الحقيقة أنا أقرب لفهم المبدعين، فأنا لا أعرف فئة -بذاتها- اسمها مثقفون، لأن المثقف فى تصورى هو الشريحة العليا فى أية مهنة، وهى الشريحة التى تستشعر مسئوليتها عن الحياة وعلى استعداد لاتخاذ مواقف إيجابية فعلية، من أجل ما تؤمن به.

ولذلك سأتحدث عن الإبداع وأقول: سيظل المسرح العربى ضعيفاً ما لم نشاهد المسرح الإسرائيلى، وستظل السينما العربية ضعيفة ما لم نشاهد السينما الإسرائيلية، وقد يقال إننا نشاهد العالم كله، وهذا صحيح لكن إسرائيل فيها عنصر جديد وهو صراع السلام، وهنا الغيرة مرة أخرى، الإحساس بالغيرة إحساس دافع للأمام، والتطبيع أمر شاق للغاية والتطبيع معركة حقيقية، وعندما نقول كلمة تطبيع لابد أن تتم ترجمتها لآلاف الخطوات العملية: أقسام اللغة العبرية عندنا ما هو حالها؟ وماذا تخرج مطابعهم ومطابعنا؟ وكيف نستفيد من أسواقهم؟، وما السلع التى نملك مزايا نسبية فيها؟، وكيفية التعاون الأمنى فى المنطقة، والتعاون الزراعى، والتعاون الصناعى، وأمور أخرى كثيرة والتطبيع معركة أخرى لا تدوى فيها المدافع ولكن تطلق فيها الأفكار، وأيضاً هو معركة بالنسبة للبيروقراطية المصرية من أجل المزيد من حقوق الإنسان الفرد، عندما ندخل فى مقارنة مفتوحة مع إسرائيل فهذا فى الواقع عصر حرية الإنسان

الفرد، وأى شىء يتعارض مع حرية الإنسان الفرد أنا ضده فالتطبيع أمر شاق جداً على عكس ما يبدو، وإذا كانت هناك جبهة رافضة للتطبيع، فهى تتبنى الموقف السهل للغاية، وهو أنك لاتريد أن تعرف بعض ما يفعلون.

د. **عمرو عبد السميع**: دكتور رفعت السعيد: نحن الآن نسألك بشأن مسألة أُثيرت عدة مرات فى هذا الحوار الممتد عن مسألة التطبيع الاقتصادى والتبادل التجارى والسياحى بين العرب وإسرائيل، إلى أى مدى يمكن أن تفضى مثل هذه الفكرة إلى هيمنة إسرائيلية ليس بالمعنى العاطفى ولكن بمعنى واقعى؟

د. **رفعت السعيد**: أريد - أولاً - أن أعلق على فكرة رؤيتين للتاريخ لأننى أعتقد أن هناك ثلاث رؤى للتاريخ: هناك رؤية صهيونية توسعية ترى أنه من الضرورى استيطان اليهود المبعثرين فى كل أنحاء العالم فى أرض الميعاد واستبعاد السكان الأصليين المقيمين فيها، وتوجد رؤية ثانية قال السفير تحسين بشير إنها رؤية بعض القوى القومية التى كانت ترى التوحد فى مواجهة إسرائيل من أجل إزالتها من الوجود ورأيى أن هذه الرؤية لاتزال موجودة وأخذت شكلاً آخر على يد التيارات المتأسلمة، وتوجد رؤية ثالثة تدعو لسلام عادل شامل، وهذه الرؤية موجودة وسط العرب ووسط الإسرائيليين، وسط الإسرائيليين يمكن بنسبة أقل، لكن على أية حال هى موجودة فى الطرفين.

السؤال الذى يحيرنى، والذى لم يجب عنه أحد فى هذه الندوة هو لماذا يتعثر التطبيع؟، قلتم إن الشعب المصرى قَبِل كامب ديفيد، وهلل لها، ومصر الرسمية تطبع، لكن لماذا يرفض الشعب المصرى التطبيع؟ وما الذى يمنع السيد على سالم من الذهاب لإسرائيل، ويشاهد المسرح والسينما؟، لكنه لا يفعلها (المحرر: كان ذلك قبل أن يذهب على سالم لإسرائيل) لأنه يعرف أنه إن فعلها فهناك مشاعر شعبية ستقف ضده، والدكتور عبد العظيم رمضان يقابل الإسرائيليين فى أميركا وفى أوروبا ويتناقش معهم، لكنه لا يفعلها لأنه يعرف أنه إن فعلها فثمة مشاعر.. ليست قضية شباب متشنجين يساريين أو متطرفين أو رافضين وإنما المشاعر الشعبية المصرية التى ترفض ذلك، لماذا يرفض البابا

الذى هو لا يسارى ولا متطرف ولا متشنج أن يحج الأقباط إلى القدس حتى الآن؟ حتى التطبيع الدينى غير موجود، لأن هناك حاجزاً من العداء، هذا العداء لا يخلقه العرب ولكن تخلقه السياسة الصهيونية التى تمارس العسف والاضطهاد ضد الشعب الفلسطينى، وتصور أننا نطوع العدو عبر التطبيع مثل تصور أن بإمكاننا أن ندعو النمر إلى مائدة الطعام فيتناول الأرز بدلاً من أن يأكلنا.

فالقضية ليست قضية تطبيع، وإنما قضية إيجاد توازن داخل المنطقة، وفى اعتقادى أنه على الرغم من اختلال توازن القوى، فقد أثبتت إسرائيل أنها ليست كما كان يعتقد الغرب، الغرب كان يتصور أن إسرائيل هى القوة التى تستطيع أن تحمى مصالحه فى المنطقة، لكن عندما ألقى العراق عليها صاروخين اضطرت أميركا لأن ترسل لها من يحميها، وبالتالى الدور الذى كانت تلعبه إسرائيل كشرطى أمريكى فى المنطقة، لم يعد وارداً ولم تعد أميركا بحاجة إليه، ومن ثم أعتقد أنه - من خلال تصور عمليات متراكمة - بدأت قبل حرب الخليج ثم تأكدت خلالها أصبح الطريق مفتوحاً أمام تسوية سلمية، التسوية السلمية لا يمكن أن يسبقها التطبيع الكامل، فكما قلت التفاوض غير التطبيع، الفيتناميون تفاوضوا لكن لم يطبعوا العلاقات، التطبيع يحل مشكلة العزلة للإسرائيليين، الدكتور عبد العظيم قال إن الإسرائيليين خائفون لأن قطعة ورق لا تساوى شيئاً، لكن كل الدول فى العالم عملت معاهدات ولم تكن خائفة، فلماذا الإسرائيليون هم الذين يخافون ويشترطون التطبيع؟ ولماذا رفض الشعب المصرى عملياً وواقعياً التطبيع؟، ولماذا لا يذهب التجار الذين تكلم عنهم الأستاذ على سالم ليتاجروا مع إسرائيل؟.

د. عمرو عبد السميع: الدكتور رفعت لم يجب حتى الآن عن السؤال الخاص بفكرة الهيمنة الاقتصادية.

د. رفعت السعيد: أنا أعتقد أن الرأسمالية المصرية - على الرغم من كل محاولاتها التاريخية للنهوض - هى رأسمالية ضعيفة، وأنا أعتقد أن من أكثر القوى المعارضة للتطبيع هى قوى الرأسمالية المصرية التى أيدت كامب ديفيد مع

السادات، لكن عندما بدأت العلاقات أوجدت منافسة اقتصادية وإنتاجاً سلعياً أكثر تقدماً فهى خائفة.

د. **عبد العظيم رمضان**: هل نخاف من المنافسة الإسرائيلية فيما السوق المصرية مفتوحة لكل السلع الأجنبية؟

د. **رفعت السعيد**: الرأسمالية المصرية ترفض سياسة إلغاء الحماية الجمركية وتطالب بحماية جمركية، لكن فى النهاية شروط صندوق النقد الدولى هى التى تفرض عليها هذا الوضع، فالرأسمالية المصرية تصرخ من المنافسة والواضح أن هناك مناخاً لا يتوافق مع عملية التطبيع، يوجد تطبيع حكومى لكن لا يوجد توافق شعبى مع عملية التطبيع، يمكن للمواطن أن يشترى قميصا مصنوعاً فى إسرائيل لكن لم يحدث أن متجراً باع قميصاً مكتوباً عليه صنع فى إسرائيل، لأنه يعرف أن المواطن ربما يرفض شراءه، فمازال الشعب المصرى يتعرض للامتهان اليومى لمشاعره بواسطة الصهيونية إزاء ما يرتكب ضد الشعب الفلسطينى، سؤالى هو: إذا كان التطبيع مقبولاً من الجماهير المصرية لماذا لا نرى له دلائل؟، وإذا كان التطبيع مباحاً ومقبولاً من الجماهير المصرية، وهو ضرورى لهذا الحد فلماذا لا يتفضل راغبو التطبيع فيركبون الباص إلى إسرائيل ويطبعو؟ فهم يشعرون بأنهم إن فعلوها ستقف الجماهير ضدهم، فالقضية ليست قضية غوغاء يساريين واثنين أو ثلاثة كُتاب.

د. **عمرو عبد السميع**: هناك ثلاثة تعقيبات على هذا الكلام أولها للدكتور عبد العظيم رمضان.

د. **عبد العظيم رمضان** : يبدو أن الصديق الدكتور رفعت السعيد واقع تحت وهم أن الشعب المصرى رافض التطبيع، لكن ماذا تريد تطبيعاً أكثر من أن يأتى الإسرائيلى لمصر، ويتعامل معه الشعب بمودة وبصداقة، ويتعامل معه تجارياً، ويقدم له كل الخدمات كسائح؟ فالقضية على العكس، أن الحكومة - مجاملة للقضية الفلسطينية - تضع قيوداً على التطبيع الكامل، ولكن إذا فتحت الحكومة الباب للشعب المصرى سيصل التطبيع إلى ذروته.

د. **رفعت السعيد**: دكتور عبد العظيم لقد عملت أستاذاً زائراً فى أميركا، هل تقبل العمل أستاذاً زائراً فى الجامعة العبرية؟.

د. **عبد العظيم رمضان**: على الرغم من أننى لا أحب الأسلوب الشخصى فى الحوار، أقول إننى إذا كنت لا أذهب لإسرائيل فهذا يرجع إلى اعتقادى بأن الشعب الفلسطينى يجب أن يحصل على حقوقه أولاً، وهذا موقف لا يخلو من خطأ لأن ذهابى لإسرائيل سيسهم فى إقناع شعبها بالضغط على حكومته، وفى دعم قوى السلام هناك، ولذلك فإن عدم ذهابى لإسرائيل يعد تقصيراً منى فى حق الشعب الفلسطينى، وعلى كل حال الرجل المصرى العادى من الأسكندرية حتى أسوان يتعامل مع الإسرائيليين، أما عدم ذهابه لإسرائيل كى يتاجر فيرجع إلى عدم وجود مصلحة اقتصادية مباشرة، كما أن مستوى الأسعار هناك مرتفع جداً و بالتالى لا يستطيع شراء سلع لإعادة بيعها، والثابت أن الإسرائيلى يأتى لمصر لشراء حاجاته بأسعار أرخص فليس هناك دافع أو حافز للرجل المصرى العادى للذهاب إلى إسرائيل ، فضلاً عن أن الحكومة المصرية لا تشجع على ذلك مجاملة للقضية الفلسطينية.

السفير تحسين بشير: أنا أتكلم عن التطبيع كجزء من عملية السلام الشامل والكامل، وليس بالنسبة لمصر فقط، لكن بشأن مصر فإن التطبيع هو إحدى أدوات الدبلوماسية للضغط والتشجيع لتوسيع قاعدة السلام وصولاً إلى السلام الشامل وأعتقد أن الحكومة المصرية راعت هذا بكل دقة، لأنه كانت هناك خطورة من أن بعض أطراف الشعب المصرى - غير الواعية بالقضية الفلسطينية - تدخل فى علاقات تطبيع تضر بالشعب الفلسطينى، لكن أنا أعتقد أن هناك تغيرات رئيسية فى العالم اليوم، ولذلك ألوم القدرات المصرية من اليسار ومن الوسط ومن اليمين التى لم تدخل إلى إسرائيل، وتدفع بقضية السلام وتساعد الشعب الفلسطينى، فهناك نوع من التخوف بسبب التركيز على الناحية العاطفية الظاهرية، وليست الحقيقية للشعب العربى، نحن علينا واجب أولى هو مساندة الشعب الفلسطينى قبل أى دولة عربية أخرى، وهذه المساندة لا تقدمها الأيدى المترددة لأنها أيد منافقة، والأيدى الحقيقية هى التى تساعد الشعب الفلسطينى، فالمصرى يستطيع أن يقول للإسرائيلى أشياء قد لا يقدر عليها الفلسطينى من

داخل إسرائيل التى لا تقتصر - الآن - على النظرية الصهيونية القديمة التى أشار إليها الدكتور رفعت، وأنا موافق معه - جزئياً - لكن هناك فى إسرائيل من ينظرون الآن إلى المصلحة الإسرائيلية نظرة جديدة، وكذلك نظرتهم إلى المصلحة العربية، وعلينا أن نتفاعل مع العناصر الفعالة، أما بالنسبة للخوف من النتيجة الاقتصادية، فأرى أن إسرائيل تخسر إذا دخلت فى مجال التجارة مع لبنان. فلا داع للتقليل من الطاقات العربية، الطاقات اللبنانية فى منتهى القدرة فى النواحى التجارية وتستطيع أن تفوق الإسرائيليين، فنحن لا نخاف من هذه الأمور، لكن هناك - مع ذلك - تخوفاً من تخلفنا الذهنى، تخلفنا عن أخذ مخاطر محسوبة نحن الذين كَبَّرنا إسرائيل لأننا تخلفنا عن معرفة مفاتيح العصر، لكن إذا لعبنا اللعبة جيداً لا نخاف من إسرائيل، طالما أننا واعون لمصالحنا وننمى الطاقات المبتكرة والمبدعة فى مختلف المجالات.

على سالم: لا أوافق على تفسير عدم قيام المصريين المؤيدين للتطبيع بزيارة إسرائيل، على أن الخوف من المشاعر العدائية ينطوى على تجاوز للواقع، فهذا الموضوع لا يدخل فى حساباتى التى تنبع من صوت ضميرى وعقلى، وقلت وشرحت ذلك خلال الندوة، فنحن مازلنا فى معركة مع إسرائيل بسبب القضية الفلسطينية لكن عندما يأتى إلىّ الإسرائيلى - فى مصر - بغرض الحوار أرحب به ولو أننى مكلف من الدولة بزيارة إسرائيل لإعداد تقارير متكاملة عن الحركة الثقافية، أذهب على الفور، فالمهم أن يكون هناك هدف أو مهمة، لأننى على المستوى الفردى ليست لى مصلحة فى الذهاب لإسرائيل، لكن لو أن هناك هذه المصلحة، لا أتردد ليس فقط كمواطن وإنما ككاتب أيضاً وعضو من رجال المجتمع، فالقضية الآن خاصة بالشعب الفلسطينى، وعندما يتم حلها، إذا وجهت لى الدعوة من الحكومة الفلسطينية أو الحكومة الإسرائيلية أعدك بتلبيتها فوراً مهما كانت الانفعالات، لكننى أنبه إلى أن التطبيع يعنى العمل الشاق والوطنى أيضاً، وحكاية أن الحكومة المصرية لا تريد التطبيع، غير صحيحة، فالتطبيع الحادث الآن أعتقد أنه أقصى ما يمكن الحصول عليه من تطبيع فى ظل قواعد البيروقراطية المصرية التى تعطل عمل المصريين أنفسهم فما بالك بالأغراب.